التجديد في علم التفسير وفق رؤية ازهرية

أصول وتطبيقات من خلال تفسير زهرة التفاسير

إعداد الدكتور

إبراهيم علي علي عامر

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد

كلية أصول الدين - طنطا

التَجديدُ في علمِ التفْسيرِ وَفقَ رُؤيةِ أزْهَريّة
" أصولٌ وتطبيقاتٌ .. من خلال تفسير زهرة التفاسير"

إبراهيم علي علي عامر
قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين بطنطا، جامعة الأزهر، طنطا، جمهورية مصر العربية.
البريد الإلكتروني: EbraheemAamer.27@azhar.edu.eg

ملخص البحث:

يحاول البحث تحديد معالم لرؤية أزهرية للتجديد في علم التفسير؛ أصولها وتطبيقاتها ؛ من خلال تفسير(زهرة التفاسير).

وقد تكون البحث من تمهيد، وثلاثة مباحث؛ أما التمهيد ففيه التعريف بمصطلحات البحث، وأما المباحث الثلاثة؛ فأولها عن دواعي التجديد في علم التفسير ومقاصده، والثاني: عن ضوابط التجديد في علم التفسير، والثالث: عن تطبيقات للتجديد في علم التفسير؛ من خلال كتاب زهرة التفاسير.

وقد انتهج البحث مناهج: الاستقراء غير التام والتحليل والتطبيق؛ انطلاقًا من جهود السابقين في تحرير المصطلحات، وحصر الدواعي والضوابط والمقاصد ونحوه، ثم تطبيقها من خلال تفسير زهرة التفاسير.

وقد خلص البحث إلى نتائج، أهمها: أن التجديد في علم التفسير هو: تجديد لفهم الناس لكتاب الله، وتقريبهم من معانيه وهداياته؛ وفق قواعد التفسير وضوابطه، وأن لتجديد علم التفسير دواعي وبواعث ومقاصد ضرورية؛ تقتضي وجوده والسعي في العناية به، وأن من الضروري للمجدد مراعاة عدد من الضوابط؛ وصولًا إلى تجديد أصيل ومثمر، وأن منهج كتاب زهرة التفاسير يعتبر واحدًا من صور التجديد في علم التفسير؛ وفق الرؤية الأزهرية في التجديد، وأن المنهج الأزهري في تجديد التفسير منهج راشد؛ يجمع بين الإفادة من التراث، ومعالجة مستجدات الواقع؛ بطريقة

متوازنة لا يطغى فيها جانب على جانب؛ بما يحفظ للسابقين حقهم من التقدير الواجب وللاحقين دورهم من تيسير العلم ومواكبة الواقع، وبما يشمل الجانبين العلمي (النظري)، والعملي (التطبيقي المتعلق بواقع الناس ونوازل العصر).

الكلمات المفتاحية: القرآن – التفسير –التجديد – أبو زهرة – الأزهر – الخطاب الديني – الفكر الإسلامي.

Renovation in the science of interpretation according to the vision of Azhar

"Origins and Applications.. Through Zahrat al-Tafsir"

Ibrahim Ali Ali Amer
Department of Interpretation and Sciences of the Qur'an, Faculty of Fundamentals of Religion in Tanta, Al-Azhar University, Tanta, Arab Republic of Egypt.
Email: EbraheemAamer.27@azhar.edu.eg

Abstract:

The research attempts to identify the parameters of the Azharite vision of renewal in the science of interpretation; its origins and applications; Through the interpretation of (Zahrat al-Tafsir).
The research may consist of a preface, and three sections; As for the preamble, it introduces the search terms, and the three sections; The first is about the reasons for renewal in the science of tafsir and its purposes, the second: about the controls of renewal in the science of tafsir, and the third: about applications for renewal in the science of tafsir. Through the book flower interpretations.
The research has adopted methods: incomplete induction, analysis and application; Starting from the efforts of the predecessors in editing the terms, listing the reasons, controls, purposes, and the like, then applying them through the interpretation of Zahrat al-Tafsir.
The research concluded with results, the most important of which are: that renewal in the science of interpretation is: a renewal of people's understanding of the Book of God, and bringing them closer to its meanings and gifts; According to the rules and controls of interpretation, and that the renewal of the science of interpretation has necessary motives, motives and purposes; It requires its presence and seeking to take care of it, and that it is necessary for the renovator to observe a number of

controls; arriving at an original and fruitful renewal, and that the approach of the book Zahrat al-Tafsir is considered one of the forms of renewal in the science of interpretation; According to the Azharite vision of renewal, and that the Azharite method in renewing interpretation is a rational method; It combines benefiting from the heritage and addressing the latest developments in reality. in a balanced manner in which one side does not predominate over the other; In a manner that preserves for the former their right of due appreciation and for the latter their role of facilitating knowledge and keeping pace with reality, and including the scientific (theoretical) and practical (related to the reality of people and the calamities of the times).

Keywords: Quran , interpretation , renewal , Abu Zahra , Al-Azhar , religious discourse , Islamic thought.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، أنزل كتابه هدى للمتقين، ورحمة للعالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله الأعظم، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن استن بسنته إلى يوم الدين وسلّم.

وبعد ...

فإن مصطلح (التجديد) من المصطلحات التي يكثُر الحديث عنها في هذه الآونة؛ خاصةً فيما يتعلق بالخطاب الديني، لكن المراقب للواقع يكتشف أن نظرة أغلب الناس إلى التجديد ليست على مستوى واحد، بل هي على طرفي نقيض؛ ففريق منهم يراه ضرورة ملحة وغاية عاجلة؛ لذا ينشده في تلهفٍ؛ دون اعتبار لقيد أو ضابط، وآخر يعتبر طرح فكرة (التجديد) تفريطًا في الدين وخروجًا عن الثوابت؛ متوهمًا أن في الدعوة إليه أو المناداة به اتهامًا لعلوم السابقين بالقصور أو نحو ذلك، وكلا الفريقين – في الواقع – جانبه الصواب.

ذلك أن التجديد في الإسلام ليس عملًا مطلقًا متحررًا، كما أنه لا يعنى أبدًا تجاوز علوم السلف، أو رمي التراث الخالد بالقصور، لكنها العصور المتعاقبة والأزمان المتلاحقة؛ فلأهل كل زمان واقع وإدراك ومستجدات (قد) تختلف عن غيرها؛ وبالتالي تستوجب معالجات مناسبة.

وفي ظل هذا الواقع الفكري متلاطم الأمواج هيأ الله تعالى لعلوم الإسلام كافةً كعبة العلم (الأزهر الشريف)؛ حصنًا للدين، وحارسًا لوسطية الأمة ومنهجها الرباني، وأمينًا على التجديد المنضبط؛ على مر عصوره؛ وفي شتى فروع العلم والمعرفة.

وقد كان للأزهر الشريف وخلال هذه الحقب الزمنية رؤية متكاملة في تجديد العلوم الإسلامية شتى بالمفهوم الصحيح للتجديد؛ انعكست على مصنفات علمائه وأبنائه؛ ممن تعلموا في رحابه، أو تولوا مهام التدريس في مؤسساته، ومن بين التفاسير

الحديثة التي يمكن من خلالها الوقوف على معالم تلك الرؤية الأزهرية المتكاملة للتجديد في علم التفسير كتاب: (زهرة التفاسير) للإمام محمد أبي زهرة $.

من هنا جاءت هذه الدراسة الموجزة للكشف عن أصول التجديد في علم التفسير ودواعيه وضوابطه؛ وفق رؤية أزهرية، وأمثلة تطبيقية لكلٍ؛ من خلال نماذج من تفسير (زهرة التفاسير)؛ تحت عنوان: (التجديد في علم التفسير وفق رؤية أزهرية " أصولٌ وتطبيقات .. من خلال تفسير زهرة التفاسير").

- حدود البحث:

ينحصر البحث في دراسة مفهوم التجديد في علم التفسير، ودواعيه، وضوابطه؛ وفق رؤية أزهرية، ونماذج تطبيقية لذلك؛ من خلال تفسير (زهرة التفاسير)، للإمام محمد أبي زهرة $.

- مشكلة البحث:

تتلخص مشكلة البحث في مدى إمكانية بيان معالم رؤية أزهرية متكاملة لتجديد علم التفسير؛ بدءً من تحديد مفهوم التجديد في التفسير، وبيان أهم دواعي التجديد، ومقاصده، وضوابطه، وانتهاءً بنماذج تطبيقية للتجديد العلمي والعملي؛ من خلال تفسير " زهرة التفاسير".

ويمكن تفصيل مشكلة البحث في الأسئلة الآتية:

١- ما المقصود بتجديد علم التفسير وفق رؤية أزهرية؟

٢- ما دواعي تجديد علم التفسير؟

٣- ما مقاصد تجديد التفسير؟

٤- ما ضوابط تجديد علم التفسير؟

٥- هل يمكن الوقوف على أمثلة للتجديد العلمي والعملي في علم التفسير وفق الرؤية الأزهرية في تفسير زهرة التفاسير؟

٦- ما أهم معالم التجديد في علم التفسير التي يتميز بها تفسير زهرة التفاسير؟

- أهداف البحث:

١- الوقوف على مفهوم التجديد في علم التفسير وفق الرؤية الأزهرية.

٢- بيان دواعي التجديد في علم التفسير وفق الرؤية الأزهرية.

٣- بيان مقاصد التجديد في علم التفسير وفق الرؤية الأزهرية.

٣- تحديد ضوابط التجديد في علم التفسير وفق الرؤية الأزهرية.

٤- الإسهام في بيان صورة أزهرية واقعية للتجديد في علم التفسير.

- منهج البحث:

ينتهج البحث مناهج: الاستقراء غير التام والتحليل والتطبيق؛ انطلاقًا من جهود السابقين في تحرير المصطلحات، وحصر الدواعي والضوابط والمقاصد ونحوها، ومن ثم تطبيقها من خلال نماذج من تفسير زهرة التفاسير.

وتتلخص طريقة الدراسة التطبيقية لنماذج من تفسير زهرة التفاسير في:

- تلخيص جهود الشيخ أبي زهرة في المسألة أو القضية محل الدراسة.

- استنباط معالم التجديد في علم التفسير من خلال جهود الشيخ $ في المسألة.

- بيان قيمة جهوده ومنهجه؛ من خلال تعليق الموجز؛ إما في صورة تمهيد لكلام الشيخ، أو تعقيب على كلامه.

ومما تجدر الإشارة إليه غلبة الدراسة التطبيقية لأغلب البحث، وعدم انحصارها في المبحث الموسوم بذلك؛ حيث تضمن الحديث عن دواعي التجديد وضوابطه ومقاصده أمثلة تطبيقية متعددة.

هذا وقد التزمت عددًا من الخطوات المنهجية في البحث، أهمها:

١- عزو الآيات القرآنية الكريمة إلى سورها في صلب البحث، عقب ذكر الآية.

٢- عزو أقوال العلماء وكل ما أفدته من كلامهم إلى مصادرها، واتبعت لذلك طريقتين:

- الأولى: إذا كان المنقول نصًا؛ يوضع بين علامتي تنصيص "....."، ويكون التوثيق في الحاشية بذكر اسم المصدر مباشرة.

- الثانية: إذا كان المنقول غير نص (صياغة جديدة للكلام، أو استيعاب لمعناه) لا يوضع بين علامتي تنصيص، ويكون ذكر اسم المرجع في الحاشية مسبوقًا بـــكلمة: يراجع..... ، أو يراجع في هذا....

٣- لم أترجم للأعلام الواردة في البحث؛ قصدًا للإيجاز والاختصار.

٤- أذكر بيانات المرجع أو المصدر كاملة، في أول ذكر له، ثم أقتصر في المرات التالية على ذكر اسم الكتاب والجزء والصفحة فقط.

٥- أقوم بالتعريف بالمصطلحات الضرورية من مصادرها، أول ورود لها في البحث.

٦- قد أذكر في الحاشية بعض التفصيلات التي أراها مهمة لتوضيح ما أشير إليها إجمالًا في الصلب.

- الدراسات السابقة:

تضم المكتبة الإسلامية عددًا من الدراسات المعنية بموضوع التجديد في التفسير؛ منها:

١- اتجاهات التجديد في تفسير القرآن في مصر للدكتور محمد إبراهيم شريف، دار التراث القاهرة ١٤٠٢هـــ- ١٩٨٢م، وهي دراسة علمية حاولت رصد اتجاهات التجديد في العصر الحديث، ولم تتعرض للشيخ أبي زهرة وتفسيره.

٢- التجديد في التفسير، يحي شطناوي ثقافتنا للدراسات والبحوث مجلد ٦ عدد ٢٣ سنة ١٤٣١-٢٠١٠، وقد عني هذا البحث بتعريف التجديد، وبيان ضرورته، كما نوه بأهمية التفسير العلمي وضوابطه.

٣- ضوابط التجديد في تفسير القرآن الكريم"، د. محمد بن أحمد الحواش، مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ع (٧٥)، ٢٠١٤، وقد اهتم هذا البحث بتعريف التجديد، وبيان ضوابطه وطرائقه.

٤- التجديد في تفسير القرآن فريضة شرعية وضرورة حضارية، أ. د/ أحمد محمد الشرقاوي، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مج (١٢)، ع (٣)، ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م، وقد اهتم هذا البحث بتأصيل مصطلح التجديد في التفسير، وبيان ضرورته الشرعية والحضارية.

ومع إفادتي من جميع هذه الدراسات، إلا أن دراستي تختلف عنها في تركيزها على بيان معالم الرؤية الأزهرية للتجديد في علم التفسير، وتطبيقها من خلال تفسير (زهرة التفاسير).

- تقسيم البحث:

يتألف البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث، وخاتمة؛ تفصيلها على النحو الآتي:

- المقدمة وتشتمل علي: حدود البحث، ومشكلته، وأهدافه، ومنهجه، والدراسات السابقة، وتقسيم البحث.
- التمهيد: تعريفات وحدود، وفيه مطالب:
- المطلب الأول: التعريف بالتجديد.
- المطلب الثاني: التعريف بالتفسير.
- المطلب الثالث: التعريف بالرؤية الأزهرية.
- المطلب الرابع: التعريف بكتاب (زهرة التفاسير).
- المبحث الأول: دواعي التجديد في التفسير ومقاصده؛ وفيه مطلبان:
- المطلب الأول: دواعي التجديد في التفسير.
- المطلب الثاني: مقاصد التجديد في التفسير.
- المبحث الثاني: ضوابط التجديد في التفسير؛ وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: الضوابط المتعلقة بالمفسر.
- المطلب الثاني: الضوابط المتعلقة بمنهجية التجديد.
- المبحث الثالث: صور من التجديد في زهرة التفاسير؛ وفيه مطلبان:
- المطلب الأول: صور من التجديد العلمي.
- المطلب الثاني: صور من التجديد العملي.
- الخاتمة : وتتضمن:
- أولا : نتائج البحث .
- ثانيا : توصيات البحث .
- ثبت بالمصادر والمراجع.

والحمد لله رب العالمين
وصل الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

التمهيد

تعريفات وحدود

يتضمن عنوان البحث عددًا من المصطلحات ضرورية البيان؛ وصولًا إلى إدراك كلي للمقصود بالبحث؛ وهذا ما تعالجه المطالب الآتية:

المطلب الأول: التعريف بالتجديد:

أولاً: التجديد في اللغة:

مصدرٌ، مادته (ج د د)، يدل معناه المحوري على: عِظَم الجرم مع تماسكه مستويا ممتدًّا أو منبسطًا؛ وهذا يستلزم معنى المتانة، وهي ترتبط بالحداثة [(١)]؛ وبناءً على هذا الأصل عُرّف التجديد في الاستعمال العام بأنه: "محاولة بعث روح جديدة في شيءٍ أو عملٍ أو فنٍّ تحوّله إلى ما هو أفضل " [(٢)]؛ كأنه صار شيئًا محدثًا مستقلًا عن غيره.

ثانياً: التجديد في الاصطلاح:

عرف تجديد الدين عمومًا بأنه: " إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة، والأمر بمقتضاهما" [(٣)].

وعُرّف التجديد في التفسير بتعريفات؛ من أوجزها وأوضحها أنه: " تجديد الفهم لكتاب الله تعالى؛ على ضوء واقع المسلمين المعاصر؛ وفق قواعد التفسير"[(٤)].

---

(١) يراجع: المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، أ.د. محمد حسن حسن جبل (القاهرة: مكتبة الآداب، الأولى، ٢٠١٠ م) [مادة: ج د د] (٢٨١/١، ٢٨٢).

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة، أ.د/ أحمد مختار عمر وآخرون (بيروت: دار عالم الكتب، الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م) [مادة: ج د د] (١/ ٣٤٩).

(٣) يراجع: عون المعبود شرح سنن أبي داود، أبو عبد الرحمن محمد أشرف الصديقي العظيم آبادي (بيروت: دار الكتب العلمية، الثانية، ١٤١٥ هـ) (٢٦٠/١١).

(٤) يراجع: بحث: " التجديد في التفسير"، يحيى شطناوي، مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث، ج(٦) عدد (٢٣)، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م (ص: ١٢).

وقد اخترت هذا التعريف لأنه يتفق مع مفهوم التجديد المراد في البحث، وهو: تجديد فهم الناس لكتاب الله؛ وفق واقعهم وحاجاتهم المقتضية الاهتداء بالقرآن الكريم وأنواره.

وهو بذلك تجديد منضبط؛ ينطلق من بواعث واقعية، ويروم مقاصد سامية، وتحوطه ضوابط وقواعد؛ تصون الأصل، وتضمن سلامة المنهج.

ويكون ذلك بالتجديد في مناهج التفسير وطرائقه؛ بصورة تفي بحاجة العصر ومتطلباته، وبما يكشف عن وفاء القرآن بحاجات الناس، وبما ييسر هداياته، ويسهل تبيانه لمضامينه (١).

وقد قرر العلامة أبو زهرة هذا المفهوم للتجديد فيما نقل عنه من آثار؛ من ذلك قوله في مقالة عن العلامة محمد زاهد الكوثري: " ... لأَنَّ التجديد ليس هو ما تعارَفَهُ الناسُ اليوم من خَلْعٍ للرِّبْقَةِ ورَدٍّ لعهدِ النبوَّةِ الأُولى، إنما التجديد هو أَن يُعادَ إِلى الدين رَوْنَقُه ويُزالَ عنه ما عَلِقَ به من أَوهام، ويُبيَّنَ للناس صافياً كجوهرِه، نقيّاً كأَصلِه ..." (٢).

والتجديد بهذا المفهوم ليس غريبًا عن البيئة الإسلامية أو مستحدثًا فيها؛ فهو جزءٌ من منظومة الفكر الإسلامي التي تشمل "اجتهادات مفكري الإسلام في بحث مختلف المسائل، بالاستناد إلى أصول الإسلام الكلية، بحسب ما فرضه عليهم القرآن الكريم من التفكير والنظر، وطلب الحقيقة في أمور الدين والفكر والحياة" (٣).

---

(١) يراجع: بحث: " التجديد في تفسير القرآن فريضة شرعية وضرورة حضارية، أ. د/ أحمد محمد الشرقاوي، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مج (١٢)، ع (٣)، ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م (ص: ٣٩٠).

(٢) يراجع: العقيدة وعلم الكلام من أعمال الشيخ محمد زاهد الكوثري (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م) (ص: ٦).

(٣) في فكرنا الحديث والمعاصر، أ.د حسن الشافعي (القاهرة: ١٩٩٤م) (ص: ٥، ٦)؛ وقول في التجديد، أ.د حسن الشافعي (القاهرة: الحكماء للنشر، الرابعة، ١٤٤٠هـ-٢٠١٩م) (ص: ١٥).

ومما يعتبر أساسًا للتجديد بهذا المفهوم ما قرره الإسلام من فتح باب الاجتهاد في الدين للعلماء، حيث أعطى لعقل العالم سلطانه لاستنباط ما يحتاج إليه الناس من أحكام الدنيا والآخرة، بالإضافة إلى ما يلزم ذلك من تأويل، وتخصيص وتعميم، وتقييد وإطلاق، ونحو ذلك من ضروب الاجتهاد وأدواته؛ وما ذلك إلا رعاية لصالح الناس في المعاش والمعاد، ورفعًا للحرج والمشقة عنهم [١].

المطلب الثاني: التعريف بالتفسير:

أولاً: التفسير في اللغة:

هو في الأصل مصدرٌ، مشتق من الفَسْر، تدل مادته اللغوية على: بيان شيء، وإيضاحه، وكشفه حساً أومعنى، وقد يستعمل اسمًا، ويجمع على تفاسير وتفسيرات[٢].

ثانياً: التفسير في الاصطلاح:

عُرّف التفسير في الاصطلاح بتعريفات متعددة؛ من أشهرها أنه: " علم يبحث فيه عن القرآن الكريم، من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية"[٣]. الطاقةال البشرية .البشرية"(٤).

(١) يراجع: حرية الفكر في الإسلام، عبد المتعال الصعيدي (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٩م) (ص: ٣٠)؛ ومن مداخل التجديد، أ.د محمد محمد أبو موسى (القاهرة: الحكماء للنشر، الثالثة، ١٤٤٠-٢٠١٩م) (ص: ٢٦، ٢٧).

(٢) يراجع: معجم مقاييس اللغة [مادة: ف س ر] (٥٠٤/٤)، معجم اللغة العربية المعاصرة [مادة: ف س ر] (٣/ ١٧٠٧)؛ والمعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، أ.د/ محمد حسن جبل (القاهرة: مكتبة الآداب، الأولى، ٢٠١٠م) [مادة: ف س ر] (ص: ١٦٧٣).

(٣) يراجع: **مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الثالثة، د.ت) (٣/٢)؛ والتفسير والمفسرون، أ.د/ محمد حسين الذهبي (القاهرة: مكتبة وهبة، الرابعة، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م) (١٣/١)، ويراجع في التعريفات الأخرى للتفسير: البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي (بيروت: دار الفكر، د.ط، ١٤٢٠هـ) (١/ ٢٦)؛ والإتقان في علوم القرآن، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م) (١٩٥/٤)؛ وتفسير التحرير والتنوير، الشيخ محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر المعروف بابن عاشور، (تونس: الدار التونسية للنشر، د.ط، ١٩٨٤م) (١١/١).**

(٣

المطلب الثالث: التعريف بالرؤية الأزهرية:

أولاً: الرؤية في اللغة:

الرؤية في الأصل اسمٌ للنظر والإبصار بالعين، أو بالبصيرة والقلب؛ وتأتي بالمعنى الأول (رؤية البصر) مصدرًا للفعل (رأى)، ومن الثاني (العلم): الرأي؛ وهو ما يراه الإنسان أو يعتقده في أمر ما، وقد يجمع المعنيين تعريفُها بأنها: إدراك المرئي [(١)].

ثانياً: الرؤية في الاصطلاح:

يمكن تلخيص مفهوم الرؤية في الاصطلاح العام بأنها: اسم جامع لمعاني (الرأي، والمنهج، والطريقة)؛ من حيث أصولها وآثارها وتطبيقاتها ومقاصدها في مجال معين [(٢)].

والرؤية بهذا المفهوم عملية مركبة من عدد من الأمور المرتبة، التي تصل بصاحبها إلى غاية سامية، وتحقق له طموحًا.

والمقصود بالرؤية الأزهرية الواردة في عنوان البحث: رأي علماء الأزهر الشريف، ومنهجهم، وطريقتهم في الإحياء الدائم لعلم تفسير القرآن الكريم، وتقريب الناس منه؛ بما يحقق مقاصد التفسير وغاياته.

ويمكن إجمال أهم المعالم للرؤية الأزهرية بصورة عامة في النقاط الآتية:

---

(١) يراجع: معجم مقاييس اللغة [مادة: ر أ ى] (٤٧٢/٢)؛ ولسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن على الأنصاري الرويفعى الإفريقى، المعروف بابن منظور الأنصاري (بيروت: دار صادر، الثالثة - ١٤١٤ هـ) [مادة: ر أ ي] (٢٩١/١٤)؛ والمفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (بيروت- دمشق: دار القلم- الدار الشامية، الأولى، ١٤١٢هـ) (ص: ٣٧٤).

(٢) يراجع: معجم اللغة العربية المعاصرة (٢/ ٨٤٠).

– أولًا: تمثيل حقيقة (وسطية الإسلام) بصورة شاملة، وتطبيقها واقعًا؛ من خلال الموازنة بين العقل والنقل، والجمع بينهما، والتوسط بين الآراء المختلفة، ومحاولة الجمع بينها.

– ثانيًا: تحقيق مبدأ (عالمية الإسلام) وتطبيقه في كافة الجوانب التعليمية والدعوية وغيرها.

– ثالثًا: رعاية التراث الإسلامي الرصين، والحفاظ عليه، مع الانفتاح الرشيد على الثقافات الجديدة والناشئة.

– رابعًا: الحرص على تحقيق وحدة الأمة من جهة، مع رعاية حق التعدد والاختلاف من جهة أخرى.

– خامسًا: الالتزام بثوابت الإسلام وحقائقه المتفق عليها، وترك الخوض فيما يكدر صفو الأمة، أو يشتت لحمتها.

– سادسًا: عدم الانزلاق إلى هاويات الضعف الفكري من التكفير والتكفير المتبادل ونحو ذلك؛ حماية وصيانة لوحدة الأمة.

– سابعًا: رحابة الأفق، وقبول التعددية في الاتجاهات المختلفة.

هذا بالإضافة إلى رعاية الأخلاق الإسلامية؛ من التواضع لله تعالى، والخشية له، والرفق، واليسر، والمجادلة بالتي هي أحسن وغيرها من أخلاق الإسلام، وتحقيقها سلوكًا وواقعًا [1].

وتقوم عملية التجديد وفق الرؤية الأزهرية وفق أسس واضحة، وهي:

– حفظ الأصول والثوابت وكل النصوص القطعية واستبقائها.

(١) يراجع: رؤية إسلامية في قضايا العصر، أ.د محمد عبد الفضيل القوصي (القاهرة: هيئة كبار العلماء، الأولى، ١٤٤٢هـ-٢٠٢١م) (ص: ١٧-٤١).

– الاجتهاد المنضبط بالنقل والعقل في الفروع الظنية القابلة للتحرك لمواكبة ما يستجد من النوازل وقضايا العصر [١].

المطلب الرابع: التعريف بكتاب زهرة التفاسير:

أولاً: التعريف بمؤلف الكتاب :

– اسمه ونسبه ونسبته:

هو محمد بن أحمد بن مصطفى أبوز هرة الششتاوي؛ نسبةً إلى قرية (ششتا)؛ من قرى مركز (زفتى)، بمحافظة الغربية [٢].

– مولده ونشأته:

ولد الشيخ أبو زهرة سنة (١٨٩٨م)، في مدينة المحلة الكبرى، ونشأ في كنف أسرة متوسطة الحال، معروفة بالصلاح والالتزام بالدين الحنيف ومكارم الأخلاق؛ فقد كان والده من العلماء، كما كانت والدته حافظة للقرآن الكريم، وكان أشقاؤه كذلك من أهل النبوغ والتفوق [٣].

– حياته العلمية:

أتم الشيخ أبو زهرة حفظ القرآن الكريم قبل سن التاسعة، ليلتحق بالمعهد الأحمدي بطنطا سنة (١٩١٣م)، ويبزغ فيه نجم نبوغه وتفوقه؛ حتى كان مثار اهتمام شيوخه وعنايتهم، ثم التحق في العام (١٩١٦م) بمدرسة القضاء الشرعي، فواصل فيها

(١) يراجع: التراث والتجديد، أ.د أحمد محمد الطيب (القاهرة: هدية مجلة الأزهر، شعبان، ١٤٣٥هـ) (ص: ١٧).

(٢) يراجع: زهرة التفاسير، الشيخ محمد أبو زهرة (القاهرة: دار الفكر العربي، د.ط.ت) (٣/١)؛ وأبو زهرة عالمًا إسلاميا: حياته ومنهجه في بحوثه وكتبه، ناصر محمود وهدان (القاهرة: شركة ناس للطباعة، ١٩٩٦م) (ص: ١٠).

(٣) يراجع: الأعلام، خير الدين الزركلي الدمشقي (بيروت: دار العلم للملايين، الخامسة عشر ، ٢٠٠٢ م) (٢٥/٦)؛ وزهرة التفاسير (٣/١).

نبوغه، واتسعت مداركه وآفاقه الفكرية، وتخرج منها سنة (١٩٢٥م)؛ حاصلًا على شهادة العالمية من درجة (أستاذ)، كما حصل على دبلوم دار العلوم من الخارج؛ سنة (١٩٢٧م) [١].

- حياته العملية:

بدأ الشيخ أبو زهرة $ حياته العملية مدرسًا للشريعة واللغة العربية بتجهيزية دار العلوم والقضاء الشرعي؛ وذلك عام (١٩٢٧م)، ولمدة ثلاث سنوات، ثم انتقل إلى التدريس في المدارس الثانوية العامة.

وانتقل في أول يناير (١٩٣٣م) إلى كلية أصول الدين مدرسًا للجدل والخطابة، ثم لتاريخ الديانات والملل والنحل، وفي نوفمبر (١٩٣٤م) نقل مدرسًا للخطابة بكلية الحقوق جامعة فؤاد الأول (القاهرة حاليًا)؛ مع بقاء انتدابه بكلية أصول الدين، وفي سبتمبر (١٩٣٥م) انتقل من تدريس اللغة العربية إلى تدريس الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق، وترقي في سلكها الأكاديمي؛ حتى صار رئيسًا لقسم الشريعة ووكيلًا للكلية حتى تقاعده عام (١٩٥٨م)، واستمر بها أستاذًا متفرغًا حتى وفاته $، كما عمل -لفترات محدودة- أستاذًا زائرًا في عدد من الجامعات العربية في ليبيا والعراق والسودان والجزائر [٢].

- آثاره ومؤلفاته:

أثرى الشيخ المكتبة الإسلامية بالعديد من المصنفات الماتعة النافعة؛ في شتى فروع العلوم الإسلامية، وكلها مطبوعة – ولله الحمد-؛ منها:

- ابن تيمية – حياته وعصره – آراؤه وفقهه.

---

(١) يراجع: زهرة التفاسير (٤/١)؛ وأبو زهرة عالمًا إسلاميًا (ص:٣٥)؛ ومحمد أبو زهرة، د. محمد عثمان شبير (دمشق: دار القلم، الأولى، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م) (ص: ٣١-٣٧).

(٢) يراجع: الأعلام (٢٥/٦)؛ وزهرة التفاسير (٥/١)؛ ومحمد أبو زهرة، د. محمد عثمان شبير (ص: ٤٥-٥٥).

- ابن حزم – حياته وعصرة – آراؤه وفقهه.
- ابن حنبل – حياته وعصره – آراؤه وفقهه.
- أبو حنيفة – حياته وعصرة – آراؤه وفقهه.
- أحكام التركات والمواريث.
- الأحوال الشخصية.
- الإمام الصادق – حياته وعصرة – آراؤه وفقهه.
- الإمام زيد – حياته وعصره – آراؤه وفقهه.
- تاريخ الجدل.
- تاريخ المذاهب الإسلامية.
- التكافل الاجتماعي في الإسلام.
- تنظيم الأسرة وتنظيم النسل.
- تنظيم الإسلام للمجتمع.
- خاتم النبيين.
- شرح قانون الوصية.
- الجريمة في الفقه الإسلامي.
- الخطابة (أصولها – تاريخها في أزهى عصورها عند العرب).
- الدعوة إلى الإسلام.
- الشافعى – حياته وعصره – آراؤه وفقهه.
- العقوبة في الفقه الإسلامي.
- العلاقات الدولية في الإسلام.
- علم أصول الفقه.
- في المجتمع الإسلامى.
- مالك – حياته وعصره – آراؤه وفقهه.

- محاضرات في النصرانية.
- محاضرات في الوقف.
- محاضرات في عقد الزواج وآثاره.
- المجتمع الإنسانى في ظل الإسلام.
- مقارنات الأديان.
- الملكية ونظرية العقد.
- الميراث عند الجعفرية.
- الوحدة الإسلامية.
- الولاية على النفس [١].

ومن مصنفاته في التفسير وعلوم القرآن:

- المعجزة الكبرى القرآن (مطبوع)، ويعتبر مقدمة لتفسيره.
- زهرة التفاسير [٢].

- وفاته:

توفي الشيخ أبو زهرة في (١٢/٤/١٩٧٤م) [٣].

ثانيًا: أهم معالم الكتاب ومنهج المؤلف وطريقته:

يعتبر كتاب زهرة التفاسير أحد التفاسير الحديثة للقرآن الكريم، وهو تفسير متوسط بين المطولات من التفاسير والمختصرات، وقد أكمل فيه مؤلفه $ حتى الآية الثالثة والسبعين من سورة النمل.

(١) يراجع: محمد أبو زهرة، د. محمد عثمان شبير (ص: ٢٠-٢٣) و(ص: ١٨١-٢٣٧).
(٢) يراجع: المرجع السابق (ص: ١٨٢، ١٨٣).
(٣) يراجع: زهرة التفاسير (١/ ٣- ١١).

وينطلق العلامة أبو زهرة في تفسيره من رأي أستاذه في مدرسة القضاء الشرعي الأستاذ عاطف بركات في كون القرآن كتابًا مبينًا لَا يحتاج إلى تفسير؛ بناءً على أنه لَا إبهام فيه يحتاج إلى توضيح، واعتقاده أن كل من يحاول توضيحه لَا يصل إليه؛ فمن ذا الذي يصل إلى آفاقه! وأن هناك ممن كتب في تفسير القرآن الكريم من الماضين من حجب معانيه بكثرة إيراد الأقوال المتعارضة والآراء المتباينة (١).

ويعتبر هذا المنطلق بداية مناسبة لطريق واضح من التجديد في علم التفسير؛ حيث يناسب هذا المسلك عصر الشيخ بما فيه من كثرة أعباء وأشغال لدى الناس؛ ينتج عنها صعوبة في الاشتغال بالمطولات من كتب التفسير والعناية المناسبة بها؛ مما يستدعي وجود تفسير يلخص جهود السابقين مع كامل عناية بها، ثم يقدمها للناس بأسلوب يناسب زمانهم، ويقربهم من هدايات القرآن الكريم.

يؤكد ذلك قوله $: " اتجهنا إلى كتابة معاني القرآن، كما ظهرت لنا، وكما أدركت عقولنا، وكما بلغته طاقتنا، غير محمِّلين وضعًا ما لَا يحتمل، أو نطوعه لتفكير سيق إلينا، ولسنا منكرين لما بذله العلماء الذين خصوا معاني القرآن بأكبر عناية، بل إننا نجد فيما كتبوا أو نقل عنهم ذخيرتنا التي ندَّرع بها غير مفتاتين عليهم في قول، ولا متهجمين عليهم في رأي ..." (٢).

وقد لخص المؤلف معالم منهجه في مطلع الكتاب، وهي:

– الاعتماد على النقل والعقل؛ من خلال تفسير بالمأثور بالمأثور؛ من القرآن، والسنة، وأقوال الصحابة – على ألا تخالف نصًا قرآنيا، أو تناهضه، أو تحمله ما لَا يحتمل –، وأقوال التابعين – مع الاحتراس فيها عن الإسرائيليات–، والاعتماد على التفسير بالرأي المحمود؛ مع التقيد بشروطه وضوابطه.

(١) يراجع: المرجع السابق (١/ ٢٣).
(٢) زهرة التفاسير (١/ ٢٣، ٢٤).

– الاقتصار في تفسير القرآن بالسنة على صحيح الحديث والأثر قدر الطاقة.

– الاستغناء عن ذكر الإسرائيليات والموضوعات وغيرهما من الدخيل في التفسير.

– الاقتصار في المباحث العقدية على المعاني الواضحة البينة، دون تعرض للخلاف أو الآراء في مسائل العقيدة وعلم الكلام؛ تنزيهًا للمقام السامي للآيات عن احتمال اختلاف الآراء أو اضطراب الأقوال.

– ذكر الأحكام الفقهية الثابتة بالقرآن الكريم بصورة إجمالية؛ مع الاستعانة بالسنة القولية والعملية؛ مع ترجيح ما يتفق مع السنة، أو ما يراه أقرب إلى النص، وعدم التعرض للخلافات الفقهية إلا في أضيق دائرة، وفي نطاق ما يوجبه بيان معاني القرآن؛ دون إخضاع المعاني لآراء الفقهاء، وإنما إخضاع آراء الفقهاء للمعاني.

– التعرض للقراءات القرآنية إذا كان لها دور في بيان المعنى.

– التعرض لبيان الغريب؛ بغرض توجيه المعاني وتقريب الناس من إدراكها.

– الاقتصار فيما يتعلق بالظواهر الكونية والحقائق العلمية على النظريات الثابتة، دون إرهاق للنص القرآني الشريف ليحتمل نظرية لم يتحقق صدقها أو يخضع لها؛ صونًا للقرآن الكريم وبعدًا به عن مواطن الشبهات.

– تنوع عبارة الكتاب بين الإطناب والإيجاز؛ وفق ما يقتضيه المقام والحال؛ بما يحقق وضوح العبارة، وتقريب الناس من معاني القرآن الكريم وهداياته [1].

(١) يراجع: زهرة التفاسير (١/ ١٩- ٤٠).

المبحث الأول

دواعي التجديد في التفسير **ومقاصده**

لتجديد علم التفسير بالمفهوم الذي تقرر في التمهيد دواعٍ وأسبابٌ ومقاصد؛ صرح ببعضها الشيخ أبو زهرة $ في ثنايا تفسيره، وأشار إلى بعضها؛ من خلال منهجه في التفسير، وفي السطور الآتية تلخيص لهذه الدواعي والمقاصد؛ وفق المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: دواعي التجديد في التفسير:

يقصد بالدواعي تلك البواعث والأسباب التي تدعو إلى التجديد في علم التفسير، وهي في حال اختلاف التعبير عنها كثيرة، ويمكن إجمال أهمها في الآتي:

– دعوة القرآن إلى التجديد وحاجة الناس إلى التفسير:

أما دعوة القرآن الكريم إلى التجديد؛ فمن خلال تلك الآيات التي تقرر أن التدبر غاية مطلوبة على الدوام، برهان ذلك: أنه ما دام الخطاب القرآني خاتمًا، وبالتالي هدايته دائمة دوام الدنيا؛ فإنه لا سبيل في التعامل مع واقع الناس إلا من خلال تجديد الفهوم والمدارك لدوام بيان الخطاب القرآني، واستلهام الهدايات في كل زمان ومكان.

ففي قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾[النساء: ٨٢] يعيب الله سبحانه وتعالى على المنافقين حالهم في عدم تدبر القرآن الكريم والتفكر في معانيه؛ مما يدل بمفهوم المخالفة أن اللائق بالمؤمن هو تدبر القرآن والتفكر في معانيه؛ إذ التدبر هو الطريق الأمثل لتجدد المعاني في النفوس والعقول، وتفتق الهدايات في الأذهان والقلوب، وقريب من مراد الآية الكريمة

السابقة قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾[محمد: ٢٤]، مع ملاحظة استعمال الفعل المضارع (يتدبرون) الدال على التجدد والدوام في الآيتين(١).

ويأتي قوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص: ٢٩] ليخبر عن غاية سامية من غايات إنزال القرآن الكريم ويبينها؛ وهي تدبر الناس حُجَج الله تعالى المبثوثة فيه، وما شرع فيه من شرائع؛ فيتعظوا ويعملوا به، مع ملاحظة ما في استعمال الوصف (مبارك) من دلالة على عظم النفع ودوامه (٢).

وأما حاجة الناس إلى التفسير فبسبب غلبة الإجمال على نصوص التشريع في القرآن الكريم (٣)؛ وهو ما يستدعي التجديد في التفسير ويتطلبه على مر العصور والدهور.

- تفاوت عقول البشر، وتناقص الهمم:

وذلك أن عقول اليوم في إدراك معاني القرآن ليست كعقول الأمس، وكذلك الهمم، وقد أشار الشيخ إلى هذا الداعي في مقدمته للتفسير؛ حيث بين أن أحد أهم أغراض

(١) يراجع: زهرة التفاسير (٤/ ١٧٨١)؛ وبحث: " التجديد في تفسير القرآن فريضة شرعية وضرورة حضارية، أ. د/ أحمد محمد الشرقاوي، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مج (١٢)، ع (٣)، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م (ص: ٣٩٣).

(٢) يراجع: جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (بيروت: مؤسسة الرسالة، الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م) (٢١/ ١٩٠)؛ ولطائف الإشارات، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الثالثة، د.ت) (٢٥٣/٣).

(٣) يراجع: المعجزة الكبرى القرآن، الشيخ محمد أبو زهرة (القاهرة: دار الفكر العربي، د.ط.١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م) (ص: ٣١١).

تصنيفه للتفسير تقريب الناس من إدراك معاني القرآن الكريم [١]، وهذا أيضًا ركن أساس في عملية التجديد.

ويندرج تحت مفهوم هذا الداعي حاجة غير العرب من المسلمين إلى تبسيط معاني القرآن الكريم وفق واقع العصر؛ بظروفه من ضعف في الهمم مع صعوبة التفاسير المطولة غالبًا [٢].

وقد أشار الشيخ إلى هذا الداعي حين ربط بين اتساع أفق العقل البشري في فهم الكون والحقائق والشرائع، واتساع فهمه للقرآن الكريم، وأن ذلك مما أدركه الصحابة رضوان الله عليهم؛ يشهد لذلك ما روي عن سيدنا أبي الدرداء ﷺ أنه قال: " لا يفقه الرجل، حتى يجعل للقرآن وجوهاً أي اتجاهات متلاقية، ولكن بعضها أعمق من بعض، وكله حق" [٣].

– تغير بعض الأحكام الشرعية بتغير الزمان وأخلاق الناس:

فالأحكام التي قررها الاجتهاد بناءً على القياس، أو على دواعي المصلحة تتبدل بتبدّل الزمان وأخلاق الناس؛ وذلك لأنها إذا أصبحت لا تتلاءم وأوضاع الزمان

(١) يراجع: زهرة التفاسير (١/ ١٩)؛ وبحث: " ضوابط التجديد في التفسير المعاصر: دراسة موضوعية"، د. احتراس شاكر فندي، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية، مج (٩)، ع (٣٤)، ٢٠١٨م (ص: ٦٦).

(٢) يراجع: زهرة التفاسير (١/ ١٨).

(٣) يراجع: زهرة التفاسير (١/ ٣٦)،)، وقد أخرج الأثر المروي عن سيدنا أبي الدرداء: ابن أبي شيبة في مصنفه (ح: ٣٠١٦٣)، بلفظ: «لَا يَفْقَهُ كُلَّ الْفِقْهِ حَتَّى يَرَى لِلْقُرْآنِ وُجُوهًا كَثِيرَةً»، وقال الحافظ العراقي: أخرجه ابْن عبد الْبر من حَدِيث شَدَّاد بن أَوْس وَقَالَ لَا يَصح مَرْفُوعا. المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، الحافظ أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي (بيروت: دار ابن حزم، الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م) (ص: ٤٢).

وتحقيق مصالح الناس المناسبة؛ وجب تغييرها، وإلا صارت عبثاً وضرراً، والشريعة منزهة عن العبث والضرر [١].

ويترتب على هذا المبدأ ضرورة فهم النص الشرعي بدلالة العرف القائم حين ورود النص؛ حيث يساعد ذلك على إنزال الأحكام على الواقع الحقيقي؛ إذ قد يتغير الواقع، وبالتالي يتغير الحكم [٢]؛ وهذا مما يستلزم التجديد ويستدعيه.

يضاف إلى ما سبق ما يقع مستجدات ونوازل تقتضي الضرورة استيعابها؛ فهمًا وإدراكاً، وبياناً لأحكامها.

ولا يعني هذا أبدًا إنكار جهود من سبق من المفسرين، فلا يمكن لأحد أن ينكر فضلهم، وفي الوقت ذاته لا يمكنه أن ينكر أن هناك أمورًا جديدة وقعت وتقع في أزمنة بعدهم؛ مما يستلزم استيعابها من قبل معاصريها من المفسرين المعاصرين؛ إذ التفسير علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى؛ بقدر الطاقة البشرية، ولا شك أن الطاقات البشرية متفاوتة ومختلفة زماناً ومكاناً وواقعًا.

- وجود أصحاب الفتن والأهواء:

لا يخلو عصر من العصور من وجود من يدّعون على القرآن، أو ينسبون إلى ألفاظه معاني لا تليق، أو من يرومون تفسير القرآن وفق هوىً لديهم، أو مذهب غير مقبول.

---

(١) يراجع: القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة، أ.د/ محمد مصطفى الزحيلي (دمشق: دار الفكر، الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م) (١/ ٣٥٥).

(٢) يراجع: الوجيز في أصول الفقه الإسلامي، أ.د/ محمد مصطفى الزحيلي (دمشق: دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، الثانية، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م) (٢/ ١٠)؛ وبحث: " ضوابط التجديد في تفسير القرآن الكريم"، د. محمد بن أحمد الحواش، مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ع (٧٥)، ٢٠١٤م (ص: ٤٨٢).

ويشمل ذلك ما أدخل على معاني القرآن الكريم وتفسيره من روايات غير مقبولة، أو تأويلات غير معقولة.

ويكون تجديد التفسير هنالك كشفًا للزيف، وبيانًا للحق، ونصرةً للقرآن الكريم؛ ويدخل حالئذٍ تحت عموم مفهوم قوله ﷺ: " يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله؛ ينفون عنه تحريف الغالين، وتأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين" (١).

وقد أشار الشيخ إلى هذا الداعي بقوله: " وإذا كان اليهود عجزوا عجزا مطلقا عن أن يعبثوا بالقرآن كما عبثوا بغيره، فإنهم أتوه من ناحية تفسيره، ولكن ذلك لَا يَمَسُه، بل يَمَسُّ العقول التي لَا تمحِّص ولا تدرك، ولا تحكم بقرآن، ومقاييس العقل؛ ولذلك بقي النبع الإلهي الصافي يدركه من يتأمل ما أحيط به فينبذ الزيف، ويدرك الجوهر الصافي"، وبقوله: " فإذا كان الإسرائيليون قد أدخلوا على التفسير ما ليس بمعقول ولا مقبول، فالباطنيون قد أدخلوا بتأويلاتهم وبواطنهم ما ليس من التفسير في شيء، والله حافظ كتابه من الفريقين، وهو بنوره الساطع يلفظ الخبث كما يلفظ الفلز في كير النار خبثه" (٢).

المطلب الثاني: مقاصد التجديد في التفسير:

إذا كانت الدواعي السابقة تقتضي حصول تجديد في علم التفسير، ووجودًا له في الواقع، فإن لهذا التجديد المنشود مقاصدَ ساميةً، وغاياتٍ شريفة؛ لابد أن يراعيها المجدد، ولا تغيب عن مشروعه، ويمكن إجمال أهم هذه المقاصد في:

- رعاية الغرض الأساس لنزول القرآن الكريم:

(١) أخرجه البزار في مسنده (ح: ٩٤٢٣، ٩٤٢٩)، وقَالَ الْبَزَّارُ: خَالِدُ بْنُ عَمْرٍو مُنْكَرُ الْحَدِيثِ، قَدْ حَدَّثَ بِأَحَادِيثَ لَمْ يُتَابَعْ عَلَيْهَا، وَهَذَا مِنْهَا. كشف الأستار عن زوائد البزار، نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (بيروت: مؤسسة الرسالة، الأولى، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م) (١/ ٨٦).
(٢) زهرة التفاسير (٢٦/١، ٣١).

فقد ذكر العلماء أن في إنزال القرآن الكريم ثلاثة مقاصد رئيسة: أن يكون هداية للثقلين، وأن يقوم آية لتأييد النبي ﷺ، وأن يتعبد اللهَ خلقه بتلاوة هذا الطراز الأعلى من كلامه المقدس؛ وذلك أن لتفسير القرآن الكريم في الواقع مستويين، يقتصر أولهما على حل الألفاظ وإعراب الجمل، وبيان ما يحويه النظم من اللطائف والنكات، ويتجاوز الثاني ذلك إلى تجلية هدايات القرآن الكريم، وبيان تعاليمه وحِكَم الله تعالى في شرعه؛ على وجه يلبي حاجات الروح والقلب، ويضبط السلوك (١).

وقد أشار الشيخ أبو زهرة إلى هذا المقصد في مقدمة تفسيره؛ أثناء عرضه لمنهجه في التفسير؛ حيث ذكر من أسباب تأليفه الكتاب: أن في بعض التفاسير المطولة بعثرةً لمعاني القرآن السامية وسط الأقوال في علم الكلام ومذاهبه، وآراء الفقهاء واستدلال كل صاحب مذهب على مذهبه، كما قرر أن " القرآن الكريم فيه فقه هذا الدين، وفيه خبر من مضى، وعلم الآخرين، وفيه علم الكون والوجود الإنساني، وفيه توجيه إلى مناحي الحياة، وفيه القصص الحكيم، وفيه أسماء الأماكن وإشارات إلى وقائع، وفي الجملة فيه الكون والإنسان، وهو فوق ذلك حمَّال للمعاني السليمة، وفيه علوم الدولة والآحاد ..." (٢).

- الإسهام في بيان دلائل الإعجاز:

وذلك أن إعجاز القرآن مستمر من أول نزوله حتى قيام الساعة؛ مما يستدعي بيانًا دائمًا لجوانب الإعجاز في كل عصر وطبقة؛ بطريقة تتناسب مع قصور العقول، وضعف الهمم، ولعل إعجاز نظم القرآن الكريم وبيانه هو أولى وجوه الإعجاز بالبيان والعرض؛ إذ هو الوجه المطرد في القرآن الكريم من أوله إلى آخره، كما أنه يحتاج إلى شيء من التيسير على الناس وتقريبهم إلى إدراكه.

---

(١) يراجع: مناهل العرفان في علوم القرآن (١٢٤/٢) و(٦/٢).
(٢) زهرة التفاسير (١٨/١، ٢٣).

وقد اهتم الشيخ $ بهذا المقصد واعتنى بما يبرزه؛ بأسلوب تعليمي واضح، وقد شمل ذلك وجوه متعددة للإعجاز.

فمما يتعلق بالإعجاز البياني إشارته إلى دلالة أسلوب الالتفات [1] في تفسير قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة: ٥] بقوله: " كان الكلام السامي يسير على نهج الغيبة بذكر مقام الربوبية وأسماء الذات العلية، التي هي أوصافها من شمول الرحمة في كل الأحوال ولكل الوجود إلى تخصيصها بالمكلفين من عباده. وبعد ذلك انتقل القول من الغيبة إلى الخطاب؛ لأن الانتقال من باب إلى باب في البيان يعطي للكلام روعة تليق بأبلغ من في الوجود، فالانتقال في القول من غيبة إلى خطاب يجدد في النفس الإقبال على الاستمتاع بالتلاوة، والاستمتاع بالسماع، والاعتبار بما في الكتاب، والإقبال الذي يتولد عنه التدبر والتفكر في آيات الله تعالى"[2].

ويلاحظ هنا أن الشيخ لم يكتف بتبسيط المراد بالالتفات الوارد في الآية، بل أضاف إلى ذلك تقريبًا لمفهوم الالتفات ومقصده وأثره بصورة عامة؛ وهذا مما يؤكد أن عملية التجديد المنشودة لا بد أن تستوعب التراث أولًا، ثم تأتي مزيتها في عرضه وتقريب الناس منه.

ومن مداخل الدرس الإعجازي للقرآن الكريم بيان الفروق اللغوية بين المفردات القرآنية المتقاربة ؛ ولعل هذا الأمر كان سبب عناية الشيخ بالمسألة.

---

(١) هو: التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة (التكلم، الخطاب، الغيبة)، بعد التعبير عنه بطريق آخر منها. الإيضاح في علوم البلاغة، أبو المعالي جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر القزويني الشافعي (بيروت: دار الجيل، الثالثة، د.ت) (٢/ ٨٦).

(٢) زهرة التفاسير (٦٢/١)، ويراجع: مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (بيروت: دار الكتب العلمية، الثانية، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م) (ص:٢٠٢).

ففي تفسيره قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [المائدة: ١٣] يتعرض لبيان الفرق بين العفو والصفح؛ درءً لتصور ترادف متعاطفين في الآية؛ فيقول: " العفو معناه في مثل هذه: عدم مقابلة الإساءة بمثلها، والتجافي عنها، وترك المؤاخذة عليها، والصفح معناه: ترك المؤاخذة، وترك اللوم والتثريب، بل ترك العتاب عليها؛ ولذلك قالوا: إن الصفح أعلى رتبة من العفو" (١).

ولا يخفى ما في تناول الشيخ من وضوح عبارة ووجازة لفظ، وتركيز على بيان ما يوضح المراد بالآية دون تطرق لمتعلقات أخرى قد ترهق القارئ، أو يكون ضررها أقرب من نفعها.

وفي جانب ما يتعلق بالإشارات العلمية الحديثة الواردة في القرآن الكريم لم يغب عن الشيخ $ الإشارة إلى ما تضمنه القرآن الكريم من حقائق ربانية صححت مسار العلوم؛ من ذلك ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٩]؛ حيث يقول: " كان الشائع بين علماء الفلك خمسا، لَا سبعا، ولكن بعد عصر القرآن بنحو أربعة عشر قرنا إلا قليلا كشفوا بآلات الكشف الحديثة نجمين كوكبين دلا على أنها سبع، وهي: عطارد، والزهرة، والمريخ، والمشترى، وزحل، وكشف أورانوس ثم نبتون، وكل كوكب في طبقة من السماء " (٢).

(١) زهرة التفاسير (٢٠٨٢/٤).
(٢) زهرة التفاسير (١٨٩/١).

ويؤكد الشيخ بهذا التناول ما ذكر من منهجه في مطلع التفسير، من التأكيد على عدم إخضاع القرآن الكريم لنظرية علمية أو فرض من فروضها (١)، وهذه بلا شك منهجية واعية في تناول مثل هذه المسائل، وهي المنهجية المعتمدة في المنهج الأزهري.

- الانتصار للقرآن الكريم:

ويقصد به تنقية التفسير من الدخيل، وتصحيح مسار الفكر التفسيري؛ حيث أدخل البعض على معاني القرآن ما ليس منه، هذا بالإضافة إلى بيان ما أوهم الاختلاف والتناقض، ومجابهة الغزو الفكري المتمثل في محاولة تطبيق النظريات والتجارب البشرية على القرآن الكريم !!

وقد أشار الشيخ إلى أصلية هذا المقصد؛ باعتباره أحد مضامين القرآن الكريم(٢).

وقد احتفى الشيخ بهذا المقصد فنبه إلى عنايته به في مقدمة التفسير؛ حين ذكر تسلل الإسرائيليات والموضوعات إلى التفسير في عهد التابعين؛ مما يستدعي الاحتراس واليقظة في الأخذ عنهم؛ صوناً لكتاب الله تعالى، وقد كان موقف الشيخ من الإسرائيليات واضحًا؛ وهو أنه حتى لو كانت موافقةً للقرآن الكريم ففي القرآن الكريم غنى عنها، وأنها تعتبر من مشتتات الفكر المستقيم (٣).

ومن الأمثلة التطبيقية لهذا المقصد ما ذكره من دفاع عن القرآن الكريم في شأن الأكذوبة المتعلقة بزواج النبي ﷺ من أم المؤمنين سيدتنا زينب بنت جحش ڤ؛ حيث نعى أولًا على بعض المفسرين (٤) روايتهم لها، وأن الواجب في مثل تلك الحالات

---

(١) يراجع: المرجع السابق (٣٠/١).
(٢) يراجع: المرجع السابق (٢٤/١).
(٣) يراجع: المرجع السابق (٣٠/١).
(٤) وهم: الإمام ابن جرير الطبري، والإمام الزمخشري، والإمام الرازي في تفاسيرهم. يراجع: جامع البيان (٢٧٣/٢٠)؛ والكشاف عن حقائق التنزيل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر

تمحيص الحقائق وكشف الشبهات؛ حتى لا تكون تلك الروايات وسيلة يتلقفها الذين لا يرجون للقرآن الكريم والنبي ﷺ وقارًا – على حد تعبيره–، ثم أشاد الشيخ بالحافظ ابن كثير في تناوله الرواية بالنقد، وبيانه عدم وجود رواية مسندة عن الصحابة تتعلق بالقصة؛ مما يؤكد كونها مختلقة بعد عصرهم (١).

وقد بين الشيخ أبو زهرة أن ظاهر النص القرآني ومعنيه تنافي هذا الرواية، ويردها صريح القرآن الكريم؛ ذلك أن الله تعالى يخبر أن زواج السيدة زينب ڤ وطلاقها كانا بأمر من الله تعالى، وأن ذلك كان لحكمة رفع الحرج عن المسلمين في مسألة تزوج الرجل بزوجة متبناه؛ استكمالًا لمعالجة قضية التبني كما وردت في أوائل السورة؛ في قوله تعالى: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤ – ٥]، ومعلوم أن النبي ﷺ كان قد تبنى سيدنا زيدًا بن حارثة ڤ، وكان سيدنا زيد ڤ قد تزوج السيدة زينب ڤ على أنه ابن النبي ﷺ، فلما ألغى الإسلام التبني أصاب العلاقة بينهما خلل؛ أراد سيدنا زيد ڤ على إثره طلاقها، وكانت وصية النبي ﷺ له: ﴿ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾[الأحزاب: ٣٧]، ولكن إرادة الله تعالى اقتضت طلاقها وتزويجها من النبي ﷺ؛ تحقيقًا لمقصد التشريع

الزمخشري (بيروت: دار الكتاب العربي، الثالثة - ١٤٠٧هـ) (٣/ ٥٤٠، ٥٤١)؛ ومفاتيح الغيب، أبو عبد الله فخر الدين محمد ابن عمر الرازي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، الثالثة، ١٤٢٠ هـ) (١٧٠/٢٥).

(١) يراجع: تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤١٩ هـ) (٣٧٨/٦).

وحكمته؛ ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ﴾[الأحزاب: ٣٧] (١).

- تقريب الناس من حكم التشريع القرآني ومقاصده:

لكل تشريع في القرآن الكريم حكم ومقاصد سامية، تتسق مع مقاصد الإسلام العامة وغايات الشريعة وعلل أحكامها.

وهذا مما يحسن بالمفسر المجدد تناوله؛ من خلال تقريب الناس منه؛ باعتباره أحد مضامين التفسير وأصوله، خاصةً وأن كثيرًا ممن يدعون التجديد يزعمون أن وجهتهم في تناول النص القرآني ذات بعد مقاصدي.

وقد اعتنى الشيخ أبو زهرة بهذا المقصد في مواضع متعددة من كتابه، ولعل ريادة الشيخ الفقهية كانت سببًا في تميزه في هذا الجانب.

من أمثلة ذلك معالجة الشيخ لمسألة كون العدة في المتوفى عنها زوجها بالأشهر دون الحيض؛ فقد تناول ذلك في صورة تساؤل عن حكمة ذلك، وأجاب بأجوبة ملخصها:

- أن عدة الوفاة لما كانت شاملة للمدخول بها وغير المدخول بها، وللصغيرة وللكبيرة على حد سواء، وكان السبب فيها واحدًا؛ وهو الحداد على الزواج السابق المنتهي بوفاة أحد ركنيه؛ لزم أن يكون الحداد بأمر يشترك فغيه الجميع، وهو الأشهر.

- أن عدة الوفاة لو قدرت بالحيض، وهو أمر لا يعلم إلا من جهة المرأة، وقد تكون عرضة للاتهام بالكذب إذا كان لها غرض من زواج ونحوه، بخلاف عدة

(١) يراجع: زهرة التفاسير (٢٧/١، ٢٨).

المطلقات؛ حيث هي حق للمطلق؛ مما يجعل المرأة أبعد فيها عن المراء؛ خشية أن ينكر عليها أو يظهر كذبها؛ فكان حد عدة الوفاة بالأشهر أولى لغياب صاحب الحق بالموت(١).

ومن أمثلته أيضًا: ما ذكره فيما يتعلق بحكمة تشريع تحرير الرقبة (العتق) في كفارة القتل الخطأ؛ في تفسيره قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ ﴾ (النساء: ٩٢)

حيث ذكر أن في التعبير عن العتق بلفظ (التحرير) إشارةً إلى أن الحرية أحد مقاصد التشريع الإسلامي، وتأكيدًا على أن العقوبات ليس مقصودًا بها إيلام المكلفين أو إيذاءهم، وإنما المقصود بها نفع طائفة الرقيق، وكذلك كل عقوبة تكون كفارتها بعتق رقبة (٢).

ويؤكد الشيخ من خلال المعالجة السابقة على ضرورة فهم الفقيه والمفسر مقصود الشارع من الحُكم الشرعي؛ لأن ذلك ينعكس على التطبيق.

- فقه السنن الإلهية:

وذلك أن التجديد كما مر مطلب واقع؛ وحاجة الناس إلى فقه السنن الإلهية مما لا يختلف حوله اثنان؛ فهي طرائق ثابتة لا بد أن يدركها اللاحق ليسير وفقها؛ ولعل هذا أحد أسباب عناية الشيخ ببيان السنن الإلهية في ثنايا تفسيره في مواضع متعددة.

---

(١) يراجع: المرجع السابق (٨١٨/٢).
(٢) يراجع: زهرة التفاسير (١٧٩٩/٤).

ومن الأمثلة التطبيقية لذلك ما ذكره أثناء تفسيره قوله تعالى: ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[البقرة: ٢٥١] أن من سنن الله تعالى في الأمم والجماعات من الناس أن الجماعة من الناس " إن غلبت على أمرها، وسامها الغالب الخسف والهوان تحفزت قوى آحاد منها للحياة، فطلبوها عزيزة كريمة، فإذا طالبوا اتجهوا إلى قيادة تجمع أمرهم، وتنظم شئونهم، ثم ساروا تحت لواء تلك القيادة، وقد تصارعت عوامل الضعف مع دوافع العزة، فإن كان الصبر كان معه النصر وإن ضاقوا بأمرهم كان الخذلان، وضربت عليهم الذلة إلى يوم القيامة. ومن سنن الله في الحر وب التي استبانت من القصة: أن النصر يكون عند اتحاد العزائم وتلاقي القلوب، وأخذ الأهبة، والصبر والثبات، وأن النصر ليس بكثرة العدد، وإنما هو بالعزيمة الماضية والثبات والصبر، والمعونة من الله العلي القدير، وأن الحق في ذاته قوة إن آمن به صاحبه، وأراده عزيزًا كريمًا غير ذليل ..." (١).

وليس بخافٍ ما في هذه المعالجة من وضوح وتقريب، فضلًا عن شمولها لمفهوم السنة الإلهية المرادة، وإحاطتها بجميع جوانبها ومتعلقاتها.

يضاف إلى ما سبق أن ما ذكره الشيخ حديثًا عن سنة التدافع صورة من صور التجديد بمناسبته لغة عصره وواقعه، وفي الوقت ذاته يتسق مع ما في تراث المفسرين؛ حيث ذكر عدد منهم أن دفع الله الناس بعضهم ببعض على وجهين: الأول: دفع ظاهر، والثاني دفع خفي؛ فالظاهر، ما كان بواسطة سلطان الأنبياء، والملوك، والحكماء والوعاظ؛ فسلطان الأنبياء على الكافة خاصهم،

(١) زهرة التفاسير (٩١٣/٢، ٩١٤).

وعامهم، وظاهرهم، وباطنهم، وسلطان الملوك على ظواهر الكافة دون الباطن وسلطان الحكماء على الخاصة دون العامة، وسلطان الوعاظ على بواطن العوام وأما الدفع الخفي فسلطان العقل، فالعقل يدفع عن كثير من المقابح، وهو السبب في التزام حكم السلطان الظاهر [1].

– سادسًا: استنباط الهدايات القرآنية:

وهذا مقصد رئيس من مقاصد التفسير عمومًا، وهو في مقام التجديد أولى وآكد؛ تحقيقًا لغاية التجديد السامية من تقريب الناس من هدايات القرآن الكريم وتيسير فقههم لها؛ ومن ثم إدراكهم أحكامه وحكمه.

وقد حفل زهرة التفاسير بهذا المقصد في مواضع غير قليلة؛ من ذلك ما ذكره أثناء تفسيره قوله تعالى: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾[الشعراء: ١٩٥]؛ من دلالة الآية على إنزال القرآن الكريم مقروءًا متلوًا، وأن قراءته وتلاوته لم تترك لتصرف الناس، كما يشهد لذلك عدد من الآيات الأخرى؛ من نحو قوله تعالى: ﴿ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾ [الفرقان: ٣٢]، وقوله تعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ [القيامة: ١٦ – ١٩]، وعلى أن القرآن المعجز هو النظم العربي، وليست ترجمته؛ لأنها من عبارات البشر، ولأن الترجمة لَا يمكن أن تكون محققة لمعاني القرآن بالصورة التي يحققها النظم العربي؛ من دلالة على كافة مستويات الإدراك ومراتبه [2].

(١) يراجع: الكشاف (٢٩٦/١)؛ والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب المعروف بابن عطية الأندلسي (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى - ١٤٢٢ هـ) (٣٣٧/١)، تفسير الراغب الأصفهاني (٥١٤/١).

(٢) يراجع: زهرة التفاسير (٣٧٩٥/٧، ٣٧٩٦).

ومن الأمثلة التطبيقية أيضًا ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۖ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ ﴾ (الرعد: ١٧) ؛ حيث لخص الهدايات المستنبطة من الآية؛ وملخصها أن في الآية ما يأتي:

– بيان نعمة الله تعالى على الناس؛ فيما ينزل من السماء ماء ينتفعون به، ويكون سببًا في أمن العطش والجدب والهلاك لهم ولأنعامهم وحرثهم.

– بيان نعمة الله تعالى على الناس؛ فيما أودعه باطن الأرض من معادن يصنعون منها حليهم وأمتعتهم وأدوات الحرب والدفاع.

– ضرب مثل للحق والباطل؛ فالحق ثابت وباق كالماء الذي ينتفع به الناس، والباطل زائل مثل الزبد الذي يوجد فوق الماء كالرغوة، ومثلهما ما ينتج عن غليان المعدن وصهره من خبث لا ينفع وأصل ثابت.

ولم يكتف الشيخ رحمه الله بتلخيص الهدايات المستنبطة من الآية، بل ذكر أن تلك الهدايات منها ما هو أصلي، ومنها ما هو تبعي، وكلاهما مستفاد من الآية؛ وفي هذا إشارة إلى مسألة المعاني الأصلية والمعاني التبعية (الثانوية) للفظ القرآني الشريف، وهي مسألة لغوية تعتبر من مداخل الإعجاز البياني في القرآن الكريم [1].

(١) يراجع: زهرة التفاسير (٨/ ٣٩٢٣).

المبحث الثاني

ضوابط التجديد في التفسير

من خلال ما سبق استقر أن للتجديد بمفهومه المختار وجودًا ودواعي ومقاصد، وهذا بلا شك يستلزم تطبيقُه وجود عدد من الضوابط المتعلقة بكل المفسر المجدِد، والمادة التفسيرية محل التجديد؛ على حد سواء.

وقد تتبعت عددًا من البحوث المنشورة [١] التي عالجت هذه الضوابط ؛ فألفيت معظم الضوابط قد أشار إليها الشيخ في منهجه في بداية الكتاب، أو ظهرت واقعًا من خلال تفسيره، ويمكن إجمال تلك الضوابط وفق المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: الضوابط المتعلقة بالمفسر المجدد:

وهي الضوابط التي لا بد من توافرها في القائم بالتجديد في علم التفسير؛ اعتقادًا، وتكوينًا، ومنهجًا، وأهمها:

- صحة المعتقد ووضوح المقصد:

فلا يكون القائم بالتجديد من أهل الأهواء أو أصحاب الاتجاهات المنحرفة في بيان معاني القرآن الكريم؛ حتى لا يفتن الناس ويصدهم عن الحق [٢].

---

(١) يراجع: بحث: " التجديد في التفسير"، يحيى شطناوي، مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث، ج(٦) عدد (٢٣)، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م؛ وبحث: " التجديد في تفسير القرآن فريضة شرعية وضرورة حضارية، أ. د/ أحمد محمد الشرقاوي، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مج (١٢)، ع (٣)، ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م؛ وبحث: " ضوابط التجديد في التفسير المعاصر: دراسة موضوعية"، د. احتراس شاكر فندي، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية، مج (٩)، ع (٣٤)، ٢٠١٨م؛ وبحث: " ضوابط التجديد في تفسير القرآن الكريم"، د. محمد بن أحمد الحواش، مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ع (٧٥)، ٢٠١٤م.

(٢) يراجع: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٤/٢٠٠، ٢٠١).

وقد كان الشيخ أبو زهرة على المنهج الأزهري في العقيدة؛ يشهد لذلك ما يظهر من إعجاب وإشادة بمنهج كل من الأشاعرة والماتريدية وأئمتهما ڤ في كتاباته عنهم، كما يقف المتتبع لتفسيره في مسائل النصوص الموهمة للتشبيه (مثلًا) على تنوع طريقته $ بين التفويض المطلق والتأويل؛ كما هي طريقة أهل السنة [1].

ومن الأمثلة التطبيقية لذلك ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ (البقرة: ٢٩) ، بعد أن ذكر أن ظاهر العطف بـ (ثم) قد يشير إلى أن تسوية السماوات سبعًا كان بعد خلق الأرض زماناً، لكن دلالته على ذلك غير قاطعة؛ لأن التعبير بـ ثم يدل على الترتيب البياني في الذكر ولا يدل على الترتيب الواقعي، ثم يقول: "وإنا نقرر أن الزمن لَا يحكم أفعال الله تعالى؛ فكما أنه تعالى لَا يكون في مكان؛ فأفعاله تعالى فوق الأزمان"، ثم يجيب عن إشكال محتمل ناتج عن نفي الزمان عن أفعال الله تعالى مع ما يفهم من قوله تعالى: ﴿ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ ﴾ (فصلت:١٠- ١٢) ، بما خلاصته: أن اليوم الوارد في الآيات ليس هو اليوم المعروف المحدود بشروق الشمس وغروبها؛ فإن ذلك تقدير نسبي بين الأرض والشمس؛ لأنهما لم تكونا قد خلقتا بعدُ؛ كما يدل صريح القرآن، وإنما المراد باليوم الدور التكويني، والمقصود به دور انفصال الأرض عن الكتلة الشمسية التي أشار إليها قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ

(١) يراجع: حاشية الشيخ البيجوري على جوهرة التوحيد، برهان الدين إبراهيم بن محمد الباجوري (القاهرة: دار السلام، الرابعة، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م) (ص: ١٥٦، ١٥٧).

ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (الأنبياء: ٣٠)[١].

وما قرره الشيخ من نفي الزمان عن أفعال الله تعالى، ونفي المكان عنه عز وجل؛ إذ هو جل وعلا خالق الزمان والمكان؛ فلا يحده واحد منهما، هو ما قرره أئمة أهل السنة من الأشاعرة والماتريدية، وهو معتقد الأزهر الشريف [٢].

ومن الأمثلة التطبيقية لذلك أيضًا ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ ﴾[البقرة: ٢٥٥]؛ حيث أورد أقوال العلماء في معنى الكرسي، ثم رجح أن يكون كنايةً عن سعة الملك وسعة العلم؛ لأنه المناسب لنسق الآية الكريمة ونظمها، ولأنه تفسير ترجمان القرآن سيدنا عبد الله بن عباس ﷺ [٣].

- الربانية:

وهذا مقصد هام أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى:﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادٗا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ (آل عمران: ٧٩)، وملخص معنى الربانية: أن يكون المتصف بها مخلصًا لله تعالى دون غيره [٤].

---

(١) يراجع: زهرة التفاسير (١٨٩/١، ١٩٠).

(٢) يراجع: تأويلات أهل السنة، أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م) (١٠٤/٢)؛ وتبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (بيروت: دار الكتاب العربي، الثالثة، ١٤٠٤هـ) (ص:١٥٠).

(٣) يراجع: زهرة التفاسير (٩٤١/٢).

(٤) يراجع: تفسير التحرير والتنوير (٢٩٥/٢).

ولعل هذا الضابط ما عبر عنه الإمام السيوطي بعلم الموهبة؛ وهو: "علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم" [1].

ولقد أنعم الله تعالى على الشيخ أبي زهرة بهذه الحال؛ من العمل بالعلم، والشغف بالقرآن، والتعلق به، وخدمة الشريعة والدين؛ فضلًا عن الحياة بهما؛ حتى عُرف بذلك بين الناس.

ويظهر أثر هذا المقصد في تفسيره في مواطن كثيرة تطرق فيها إلى تحقيق صلاح الأسرة والمجتمع، وبيان ما ينفع الناس معاشًا ومعادًا.

ومن الأمثلة التطبيقية لهذا الضابط ما ذكره الشيخ في فوائد التذييل [2] بقوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٢٣٣ ﴾(البقرة: ٢٣٣)؛ حيث يقول: " ولذلك التذييل الكريم فوائد ثلاث:

أولاها: تربية المهابة في قلوب المؤمنين؛ ليتذكروا الله سبحانه وتعالى في كل أعمالهم الصغيرة والكبيرة، وليعلموا أن شئون الحياة كلها سواء كان منها ما يتعلق بالأسرة أو ما يتعلق بالمجتمع، وما يتعلق بالآحاد، لَا تستقيم إلا بمراقبة الله تعالى، والإحساس بتقواه، وأنه عليم بما تخفي الصدور وما تكنه القلوب، وأن من يعمل عملا يعمله كأنه يرى الله، فإن لم يكن يراه فإن الله سبحانه وتعالى يراه.

وثانيها: بيان أن العلاقات بين الآباء وأولادهم وأمهاتهم لَا يغفل الله عنها، وسيجزي المحسن إحسانًا والمسيى سوءً، وإن استطاع الرجال أو النساء أن يستطيلوا ويظلموا في الدنيا، أو يخدعوا القضاء بزور من القول، فلن يخدعوا الله سبحانه وتعالى، وهو على كل شيء رقيب، وسيجزي كلًّا بما صنع، إن خيرًا فخيرٌ، وإن شرًّا فشرٌ.

---

(١) يراجع: الإتقان في علوم القرآن (٢١٥/٤).

(٢) هو: تعقيب الجملة بجملة تشتمل على معناها؛ للتوكيد. يراجع: الإيضاح في علوم البلاغة (٣/ ٢٠٥).

والثالثة: التذكير بأن شئون الأسرة تقوم على التدين، لَا على الظواهر المادية، فإنه إذا صلحت القلوب استقامت العلاقة بين الرجل وأهله وأولاده، وإن تقطعت حبال المودة، وذهبت التقوى من القلوب، وأقفرت النفوس، فسيكون الظلم مهما تكن الأحكام، ومهما يكن القضاء. منحنا الله سبحانه رضوانه، ووهبنا عرفانه، وأصلح لنا في ذرياتنا، إنه سميع مجيب الدعاء" (١).

ولقد آثرت نقل كلام الشيخ بنصه في هذا المثال لتظهر ملامح الربانية التي أنعم الله تعالى بها عليه؛ من خلال نظم الكلام، وما اشتمل عليه من روح خير سامية تنبئ عن عالم يحرص على الخير لأمته ووطنه.

- الرسوخ في العلم:

ويراد بهذا الضابط أن يكون المجدد في علم التفسير من العلماء الموسوعيين؛ ذوي الرأي في سائر العلوم الواجب توافرها لمن يتصدى للتفسير.

وقد حصر الإمام السيوطي : هذه العلوم في علوم اللغة، والنحو، والتصريف، والاشتقاق، والمعاني، والبيان، والبديع، والقراءات، وأصول الدين، وأصول الفقه، وأسباب النزول والقصص، والناسخ والمنسوخ، والفقه، والأحاديث المبينة لتفسير المجمل والمبهم، وعلم الموهبة (٢).

وقد عدها الإمام السيوطي –رحمه الله– خمسة عشر علمًا؛ ملخصها: الأول: علم اللغة ولهجاتها؛ لأن بها يعرف شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع. الثاني: النحو؛ لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب؛ فلا بد من اعتباره، الثالث: التصريف؛ لأن به تعرف الأبنية والصيغ. الرابع: الاشتقاق؛ لأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف المعنى باختلافهما كالمسيح هل هو من

(١) يراجع: زهرة التفاسير (٨١٤/٢).
(٢) يراجع: الإتقان في علوم القرآن (٢١٥/٤).

السياحة أو المسح! الخامس: المعاني؛ لأنه يعرف به خواص تراكيب الكلام، من جهة إفادتها المعنى. السادس البيان؛ لأنه يعرف به خواص تراكيب الكلام من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها. السابع: البديع؛ لأنه يعرف به وجوه تحسين الكلام، وبهذه العلوم الثلاثة يتضح ما يقتضيه الإعجاز؛ ويدرك بها. الثامن: علم القراءات؛ لأن به يعرف كيفية النطق بالقرآن، وبالقراءات يترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض. التاسع: أصول الدين؛ بما في القرآن من الآيات الدالة بظاهرها على ما لا يجوز على الله تعالى؛ فالأصولي يؤول ذلك ويستدل على ما يستحيل وما يجب وما يجوز. العاشر: أصول الفقه؛ إذ به يعرف وجه الاستدلال على الأحكام والاستنباط. الحادي عشر: أسباب النزول والقصص؛ إذ بسبب النزول يعرف معنى الآية المنزلة فيه بحسب ما أنزلت فيه. الثاني عشر: الناسخ والمنسوخ؛ ليعلم المحكم من غيره. الثالث عشر: الفقه. الرابع عشر: الأحاديث المبينة لتفسير المجمل والمبهم. الخامس عشر: علم الموهبة؛ وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم [1].

وقد أضاف الإمام محمد عبده إلى ما ذكره الإمام السيوطي أمورًا أخرى (علوم ومعارف) يحتاج إليها المفسر؛ ملخصها كالآتي:

– فهم حقائق الألفاظ المفردة التي أودعها القرآن؛ ويحصل ذلك باطلاع المفسر وإحاطته باستعمالات أهل اللغة لتلك الألفاظ؛ دون الاكتفاء بقول عن غيره.

– معرفة الأساليب الرفيعة وفهمها؛ من خلال ممارسة الكلام البليغ ومزاولت؛ مع التفطن لنكته ومحاسنه، والعناية بالوقوف على مراد المتكلم منه.

– معرفة علم أحوال البشر؛ حيث أنزل الله تعالى القرآن خاتمًا للكتب؛ فبين فيه ما لم يبينه في غيره؛ ومن بينها أحوال الخلق وطبائعهم والسنن الإلهية في البشر.

(١) يراجع: الإتقان في علوم القرآن (٤/٢١٥).

– العلم بوجه هداية البشر كلهم بالقرآن؛ وهذا يعني أنه يجب على المفسر أن يعلم ما كان عليه الناس في عصر النبوة؛ وذلك فيما يتعلق بالعادات والخصال القبيحة التي أنكرها عليهم القرآن.

– العلم بسيرة النبي وأصحابه، وما كانوا عليه من علم وعمل وتصرف في الشئون دنيويها وأخرويها [(١)].

وقد أضاف العلامة أبو شهبة عددًا من القواعد التي ينبغي مراعاتها، وهي:

– تحري المفسر في تفسيره مطابقة اللفظ المفسِر للنص المفسَر؛ من خلال تحرزه عن النقص الموجز المخل، والإطالة المستطردة المملة.

– عناية المفسر بأسباب النزول؛ فهي مما يعين على فهم المراد من الآية.

– عناية المفسر بذكر المناسبات بين الآيات؛ باعتبار ذلك مدخلًا للإعجاز ودرايته.

– تجردُ نفس المفسر من الميل إلى مذهب بعينه؛ خشية التعصب له، أو الزيغ عن الجادة.

– مراعاة المفسر للمعنى الحقيقي والمجازي؛ فلا يصرف الكلام عن حقيقته إلى مجازه إلا بصارف، وتقديمُ الحقيقة الشرعية على اللغوية وكذلك الحقيقة العرفية، ومراعاةُ حمل كلام الله على معانٍ جديدة أولى من حمله على التأكيد، ومراعاة الفروق الدقيقة بين الألفاظ.

– مراعاة تأليف الكلام، والغرض الذي سيق له؛ فإن ذلك يعينه على فهم المعنى المراد.

---

(١) يراجع: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا القلموني الحسيني (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، ١٩٩٠ م) (١/١٩-٢٢).

– وجوب البداءة بما يتعلق بالمفردات، وتحقيق معانيها، ثم يتكلم عليها بحسب التركيب، فيبدأ بالإعراب إن كان خفيًّا، ثم ما يتعلق بالمعاني، ثم البيان، ثم البديع، ثم ليبين المعنى المراد ثم ما يستنبط من الآيات من الأحكام والآداب، وليراعِ القصد فيما يذكر من لغويات، أو نحويات، أو بلاغيات، أو أحكام، حتى لا يطغى ذلك على جوهر التفسير.

– التحاشي عن ذكر الأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة، والروايات المدسوسة؛ من الإسرائيليات ونحوها [1].

والمطالع زهرة التفاسير؛ يقف على عناية الشيخ $ بهذه العلوم والقواعد جميعًا، فضلًا عن إحاطته بفروعها، وإدراكه ضرورة توافرها للمفسر، وتطبيقها عمليًا في ثنايا تفسيره، وكونها معلمًا هامًا من معالم منهجه في التجديد؛ حيث يقرب الناس من تلك العلوم بأسلوب تعليمي واضح.

ويمكن الوقوف على رعاية هذا الضابط من خلال ما ذكره الشيخ $ في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (المائدة: ٤٥) من تقرير مبدأ التساوي في الإنسانية، وفي النفس الآدمية؛ بغض النظر عن كون تلك النفس لغني أو فقير، أو عظيم أو حقير، أو رجل أو امرأة، أو حر أو عبد؛ اعتمادًا على ظاهر النص الكريم؛ حيث يشترك الجميع في وصف الآدمية، ويتساوون في الأنفس الإنسانية، وأن هذا ما قررته السنة الشريفة؛ وعلى هذا يقتص للعبد من الحر حتى لو كان سيده.

(١) يراجع: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، أ.د محمد محمد أبو شهبة (القاهرة: مكتبة السنة، الرابعة، ١٤٠٨هـ) (ص: ٨٢-٨٤).

ويرى الشيخ أن المساواة في الدماء بين الأحرار والعبيد تتناسب مع مقاصد الإسلام؛ حيث تقرر مصادر الإسلام وموارده منع ظلم العباد الذين كتب عليهم الرق، ولا شك أن أبلغ الظلم أن يقتلوا، وقد أوصى النبي ﷺ في أحاديث كثيرة بالرحمة بهم، ومنها احترام نفوسهم، وصيانة دمائهم؛ إذ أن الرق أمر عارض بالنسبة للعبيد، ولا يصح أن يكون الأمر العارض مزيلا للمعنى الإنساني الأصيل، كما أن النصوص العامة متضافرة على إثبات وجوب القصاص في الأنفس من غير تفرقة بين نفس حر ونفس عبد؛ وذلك في نحو قوله تعالى:﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٧٩﴾ (البقرة: ١٧٩) .

وقوله ﷺ: " المسلمون تتكأفا دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم " [١]، ومن التكافؤ في الدماء أن يقتل الحر بالعبد المسلم [٢].

– المعرفة بواقع المجتمع:

وذلك أن مفهوم التجديد لا يكتمل بدون أن يكون المجدد في علم التفسير بصيرًا بمجتمعه؛ علله وأسقامه، وتقاليده وأعرافه وعاداته؛ حتى تكون معالجته واقعية، وحلوله مناسبة نافعة.

والمتأمل حياة الشيخ وتاريخه يجده مدركًا لواقع مجتمعه، وعلله؛ يتضح ذلك من تصانيفه ومؤلفاته، كما تؤكده مواقفه، ومناظراته؛ التي عالجت شتى جوانب الواقع، وهذا ما يظهر أثره في مواضع متنوعة من تفسيره؛ خاصة تلك التي تتعلق بقضايا المجتمع والأسرة.

(١) أخرجه: الإمام أحمد في مسنده (ح: ٩٥٩)، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح.
(٢) يراجع: زهرة التفاسير (٤/٢٢٠٥-٢٢٠٨).

ومن أمثلة ذلك ما ذكره في تفسير قوله تعالى: جوابًا عن شبهة تتعلق بالزواج قبل الدخول، ونظرة المجتمع للمطلقة، وخلاصته: أن طلاق المرأة قبل الدخول بها قد يسيء إلى سمعتها، وقد يتساءل الناس عن سبب الطلاق، وأنه ما وقع إلا لسبب، وقد يكون زواجها الذي طلقت فيه قبل الدخول مفوتًا لزوج كفءٍ ربما لا يمكن تداركه، ويجيب الشيخ بأن حسن سمعة الأسرة التي تنتمي إليها الزوجة، وكرم أصلها كفيلان برد كل إيهام أو اتهام [1].

ويلاحظ في هذه المعالجة الواقعية من الشيخ استثماره هذا الموقف للتأكيد على وطادة العلاقة بين الأسرة والمجتمع؛ فكل منهما يدور مع الآخر ارتقاءً وانحدارًا.

- توقير من سلف من العلماء:

وذلك أن تسفيه العلماء والتقليل من قيمة جهدهم آفة تضر بالعلم والعالم والمتلقى على حد سواء؛ لأنها تورث الغلظة، وتهون قيم الأخلاق والأدب والعلم في نفوس الناس.

وقد أكد الشيخ $ هذا الضابط ضمن بيانه لمنهجه في تفسيره؛ حيث قرر عدم إنكاره ما بذله من سبقه من العلماء من جهود في خدمة علم التفسير، وأن تراثهم ذخيرته التي يتدرع بها؛ من غير افتيات عليهم في قول، ولا تهجم عليهم في رأي[2].

ومن أمثلة ذلك ما ذكره عقيب بيان وجه التفرقة في التذييل بين قوله تعالى: ﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ (المائدة: ٦٢) في ذم أعمال اليهود عامة، وقوله تعالى: { لَبِئسَ مَا كَانُواْ يَصنَعُونَ} في ذم أعمال الربانيين والأحبار؛ حيث يقول: " ومن

(١) يراجع: زهرة التفاسير (٨٢٨/٢).
(٢) يراجع: المرجع السابق (٢٣/١، ٢٤).

أحسن من قال في التفرقة فخر الدين الرازي في تفسيره الكبير، فقد قال موضحًا ما ذكره الزمخشري وغيره" [١].

المطلب الثاني: الضوابط المتعلقة بمنهجية التجديد:

وأعني بها تلك الضوابط الضروري توافرها في طريقة التفسير نفسها، ويمكن إجمال أهمها في الآتي:

- الاعتماد على النقل والعقل معًا:

فكلاهما لا يستغني عن الآخر، ولا يمكن تفسير القرآن بدونه، وقد اعتبر الشيخ الاعتماد على النقل والعقل معًا من ضمن مفردات الطريقة المثلى للتفسير، التي توصل إلى الغاية في فهم القرآن الكريم، ومعرفة معانيه، وإدراك دلائل إعجازه؛ وذلك لأن الوقوف عند ظواهر النصوص لا يكون كافيًا للفهم في جميع الأحوال، كما أن للنظم القرآني أبعادًا فكرية تتجاوز ظاهر النص إلى جوانب علمية وكونية ونفسية، تتطلب الجمع بين النقل والعقل [٢].

- الالتزام بالثوابت القرآنية:

وقد تجلى هذا الضابط تطبيقًا وتحقيقًا في حديث الشيخ عن عالم الجن؛ حيث بين أن الوجه الأمثل في بيان المراد بهم هو الوجه الذي اعتمده القرآن الكريم؛ من كونهم عالمًا من العوالم غير عالم الملائكة وعالم الناس، ونعى على من يرى كونهم قبيلة من قبائل البشر أو نوعًا منهم؛ بأن ذلك تأويل بغير دليل، ومخالف لظاهر القرآن الكريم [٣].

- بلاغة الأسلوب ووضوح العبارة في بيان المعنى القرآني:

---

(١) المرجع السابق (٢٢٧٥/٥)، ويراجع: الكشاف (٦٥٤/١)؛ ومفاتيح الغيب (٣٩٣/١٢).
(٢) المرجع السابق (٣٥/١).
(٣) المرجع السابق (١٩٢/١).

والمقصود بالبلاغة هنا: جمع التفسير بين بيان معاني القرآن الكريم مع مناسبته فهوم المخاطبين ومداركهم؛ في عبارة رشيقة فصيحة ومستأنسة.

وشواهد هذا الضابط في كتاب زهرة التفاسير متعددة؛ فقد كان المصنف حريصًا على توضيح معاني القرآن الكريم بأقرب عبارة، وفق ما يقتضيه المقام إيجازًا وإطنابًا؛ مع أدب وتوقير لسمو المقام القرآني.

وقد أشار إلى منهجه إجمالًا بقوله: " ... أننا في بعض المواضع نأتى بالكلام مطنبا، وذلك لنقرب الناس من معاني القرآن التي تكون موجزة في ألفاظها ثرية في معانيها، فنحاول أن نقرب الناس من هذه المعاني؛ لأنه ليس عندنا طاقة هذا الإيجاز البليغ الذي هو من دلائل الإعجاز" [1].

(١) زهرة التفاسير (١٩/١).

المبحث الثالث

صور من **التجديد في زهرة التفاسير**

لم يبق بعد ما سبق من البيان الموجز لدواعي التجديد في التفسير ومقاصده وضوابطه سوى الوقوف على صور ونماذج للتجديد في علم التفسير؛ من خلال زهرة التفاسير، وهذا ما يفصح عنه المطلبان الآتيان:

المطلب الأول: صور من التجديد العلمي:

ويقصد بالتجديد العلمي: ما يتعلق بدرس المسائل العلمية (النظرية) المتصلة بتفسير القرآن الكريم؛ بصورة تناسب مدارك الناس، ولهذا اللون من التجديد صور متعددة في زهرة التفسير، أكتفي ببعضها؛ قصدًا للإيجاز، وهي:

- رأيه في مسألة وقوع النسخ في القرآن:

يرى الشيخ في مسألة وقوع النسخ في القرآن الكريم رأي أبي مسلم الأصفهاني، وخلاصته: أن النسخ جائز عقلًا ممتنع سمعًا [1]؛ وبالتالي فلَا نسخ في القرآن قط، ويعضد الشيخ رأيه هذا من وجوه؛ هي:

- أن القرآن الكريم هو شريعة الله تعالى الباقية إلى يوم القيامة؛ فهو سجل شريعة الإسلام، بل سجل الشرائع السماوية كلها، ومصدر إثبات معجزات الأنبياء والرسل السابقين.

- أن وقوع النسخ في القرآن الكريم لم يثبت بنص عن النبي ﷺ، وأنه ﷺ لم يصرح النبي بنسخ آية من القرآن.

(١) يراجع: مناهل العرفان (١٨٧/٢).

– أن ما جاء من عبارات النسخ في القرآن إنما في نسخ المعجزات الحسية بالقرآن الكريم [1].

والواقع – في نظري المتواضع – أن هذا الرأي الذ صدع به الشيخ في مطلع الكتاب لا يتجاوز حدود الكلام النظري؛ بمعنى أن الشيخ تناول الآيات التي ادُعي فيها النسخ بالمناقشة؛ من خلال تطبيق شروط النسخ التي أقرها القائلون بوقوعه.

ومن الأمثلة التطبيقية لذلك ما ذكره في تفسير قوله تعالى:﴿ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣ ﴾ (المائدة: ١٣)؛ حيث شرع في بيان من أُمر النبي ﷺ بالعفو والصفح عنهم، وذكر أقوالًا؛ ملخصها:

– أنهم القلة المستثنون بقوله تعالى:﴿ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٖ مِّنۡهُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۖ ١٣ ﴾ (المائدة: ١٣)، ثم عقب بأن هذا القول قد يستقيم من جهة اللفظ، لكنه لا يستقيم من جهة المعاني؛ لأنه ليس للعفو موضع بالنسبة لهؤلاء؛ حيث إنهم لم يسيئوا ولم يخونوا.

– أنهم اليهود جميعًا، ولكن هذا الأمر نسخ بقوله تعالى:﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ ﴾ (التوبة: ٢٩) .

– أنهم اليهود جميعًا، ولا نسخ في الآية؛ لأن العفو والصفح وقعا بمساكنة المسلمين لهم، وقبول الجزية منهم على أن يكون لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم.

ورجح الشيخ $ الرأي الثالث؛ بناءً على وجوه:

– أن العفو والصفح ضروريان لكي يؤدي النبي ﷺ واجب الدعوة؛ فإن شأن الدعوة لا يستقيم مع انتفائهما؛ بدليل قوله تعالى:﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ

١ - يراجع: زهرة التفاسير (٤١/١).

وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ (النحل: ١٢٥) ، وقوله تعالى: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ (العنكبوت: ٤٦).

– أنه لا يمكن قبول دعوى نسخ هذه الآية؛ لكون سورة المائدة من آخر القرآن نزولًا، ولأن التوفيق بين الناسخ والمنسوخ غير متعذر؛ فالأمر بالعفو والصفح لا ينافي القتال؛ لأنه إذا اعتدت طائفة وجب فل شوكتها؛ فالعفو والصفح ثابتان، والقتال عارض [(١)].

ومما يؤكد الملمح الذي بدا للباحث أن هذه المعالجة من الشيخ موافقة لما رآه أكابر المفسرين والمصنفين في الناسخ والمنسوخ [(٢)].

وفي نظري أن مسلك الشيخ في باب النسخ مسلك تجديدي أصيل؛ حيث فيه صيانة لكتاب الله تعالى وتقديس لكلامه؛ بغلقه الباب أمام أولئك المتشدقين بعنواين هذا المباحث دون خوض في تفاصيلها، فضلًا عن الدراية بكنهها ومفهومها ومقاصدها.

– رأيه في قضية الرجم:

ذهب الشيخ $ إلى القول بنفي عقوبة الرجم للزاني المحصن؛ اعتمادًا علىوجوه؛ ملخصها:

– أنه ثبت بطريق الآحاد، وإن ادعيت شهرة الخبر.

---

(١) يراجع: زهرة التفاسير (٢٠٨٣/٤، ٢٠٨٤).

(٢) يراجع: جامع البيان (١٣٥/١٠)؛ والناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، أبو بكر بن العربي المعافري (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م) (٢٠١/٢).

– أن الرجم يعتبر أقسى عقوبة في الأرض، فكيف لم يثبت بنص القرآن الكريم، في حين ثبت ما هو دونه كالجلد ونحوه.

– أن بعض التابعين سأل الصحابة عن رجم النبي ﷺ لسيدنا ماعز هل كان قبل نزول آية النور أوم بعدها؟ فقال: لا أدري لعله قبلها [١].

وهذا الموقف من الشيخ ليس موقفًا أزهريًا خالصًا، وإنما يمثل لونًا من الاجتهاد المقاصدي للشيخ ، ولعله قد اختار هذا الرأي من منطلق حرصه الدائم على الدفاع عن شريعة الإسلام.

والحقيقة أن حكم الرجم ثابت؛ بدليل ثبوت إعلان سيدنا عمر عقوبة الرجم وهو على المنبر [٢]؛ من غير إنكار أحد من الصحابة الحاضرين عليه في ذلك[٣].

وعلى هذا فحكم الرجم إما أن يعتبر من قبيل المنسوخ تلاوةً لا حكمًا، وبالتالي لا يعد قرآناً [٤].

وعلى هذا الاحتمال يكون نسخ الآية صورة من صور المنهج العملي للقرآن الكريم في تقرير الفضيلة وترسيخها، فقد كانت تتلى أولا لتقرير حكمها؛ ردعاً لمن تحدثه نفسه أن يتلطخ بهذا العار الفاحش من شيوخ وشيخات، حتى إذا ما تقرر هذا الحكم في النفوس، نسخ الله تلاوته لحكمة أخرى هي الإشارة إلى شناعة هذه الفاحشة وبشاعة صدورها من شيخ وشيخة حيث سلكها مسلك ما لا يليق أن

(١) يراجع: زهرة التفاسير (٥١٤١/١٠).
(٢) يراجع: صحيح البخاري، كتاب: الحدود، باب: رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت (ح: ٦٨٣٠).
(٣) يراجع: فضائل القرآن، أبو عبيد القاسم بن سلام ، (دمشق-بيرت: دار ابن كثير، الأولى، ١٤١٥هـ -١٩٩٥م) (ص: ٣٢٠، ٣٢١)؛ وفتح الباري شرح صحيح البخاري، الحافظ أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي (بيروت: دار المعرفة، د.ط، ١٣٧٩هـ) (٦٥/٩)؛ والمنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، الثانية، ١٣٩٢هـ) (١٩١/١١).
(٤) يراجع: فتح الباري (١٤٣/١٢)؛ والإتقان في علوم القرآن (٨٦/٣).

يذكر فضلا عن أن يفعل وسار بها في طريق يشبه طريق المستحيل الذي لا يقع، كأنه قال: نزهوا الأسماع عن سماعها والألسنة عن ذكرها فضلا عن الفرار منها ومن التلوث برجسها [١].

وإما أن يكون الادعاء بكونها آية من القرآن من قبيل الروايات الآحادية، ومن ثم لا يثبت كونها قرآنًا منسوخًا، ولا يمكنها معارضة القطعي الثابت بالتواتر، ويكون غاية ما تدل عليه أنها حديث من أحاديث رسول الله ﷺ، وسنة من سننه [٢].

- تقريب الصور البيانية في القرآن الكريم:

يلاحَظ من تتبع المباحث البيانية والبلاغية في تفسير زهرة التفاسير عنايةُ الشيخ بتقريب القارئ ممن تلك الصور؛ من خلال تناولها بأسلوب تعليمي واضح؛ يجمع بين شرح الصورة البيانية وبيان أثرها في معاني القرآن الكريم؛ وهذا هو المنحى التجديدي في تناولها.

ففي تفسير قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ١٦ ﴾ **(البقرة: ١٦)** يتعرض لبيان الصور البيانية في تشبيه المنافقين، وفي إسناد الفعل إلى غير فاعله الحقيقي في قوله تعالى: { فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ} بأسلوب تعليمي مفصل يقرب القارئ من إدراك مفاهيم هذه الصور وما فيها من دلالات ومعانٍ [٣].

---

(١) ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن (٢/ ١٩٦، ١٩٧).

(٢) ينظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم، أ.د محمد محمد أبو شهبة (القاهرة: مكتبه السنة، الثانية، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣م) (ص: ٣٠٠، ٣٠١).

(٣) يراجع: زهرة التفاسير (١٤٠/١)، ويراجع للاستزادة: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى ابن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ (بيروت: المكتبة العصرية، الأولى، ١٤٢٣ هـ) (١١١/١) و(١٢٣/١)؛ وعروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، أبو حامد

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾[البقرة: ١٧] تجده يقرب القارئ من دلالة التشبيه في الآية بتفصيل مضمون التشبيه في الآية بأسلوب تعليمي مفصل؛ فيقول: " والمعنى السامي في الآية أن حال المنافقين في أنهم في وسط المؤمنين يناكحونهم، ويتوارثونهم، ويعاملونهم، ويوادونهم، ويدلون بالجوار بينهم وبينهم، ومعرفتهم للإيمان وأهله وذوقهم محبة بعض المؤمنين، وهذه الأحوال التي تكنفهم، ومن شأنها أن يعلموا بها الحق، وقد ربطتهم مودة الجار، كل هذا، حالهم فيه، كحال من يستوقد النار وينالـه ضوؤها، وتخرج عليه بنورها، حتى إذا انتفع وأدرك الحياة وعلم مغزاها ومعناها، إذا كان كذلك خمدت النار بريح أو نحوها، فبعد الضوء اللامع، فذهب الله بنورهم فهم في ظلمات بعد ذهاب الضوء لَا يبصرون" (١).

وهكذا يوضح الشيخ مضمون التشبيه في الآية ومقصده بصورة تـركز على أثره في المعنى وما يفيده من دلالات؛ بأسلوب تعليمي.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾ (البقرة: ٢٢٨) يشرح معنى التربص، ويشير إلى العلاقة الدلالية بينه وبين (التصبر)، ثم يشرع في بيان ورود الجملة الفعلية الدالة على الطلب اللازم المؤكد (الأمر) بصيغة خبرية، وأن ذلك عند أهل البيان أوكد الصيغ دلالة على اللزوم الموثق، ولإيثار هذا الأسلوب دلالات؛ منها:

– الإشارة إلى أن ذلك التربص يجب أن يكون من ذات نفس المطلقة؛ لأنه هو الذي يليق بكرامتها، ويتفق مع فطرتها، فإن كانت الرغبة تدفعها إلى الزواج العاجل

بهاء الدين أحمد بن علي بن عبد الكافي السبكي (بيروت: المكتبة العصرية، الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م) (١٧٧/٢).

(١) زهرة التفاسير (١٤١/١).

السريع إن كان الزوج الجديد كفئا، فإن الكرامة توجب عليها الانتظار والتريث، فلا يليق بالحرة الكريمة أن تنتقل بين الأزواج انتقالا سريعا، لَا فاصل فيه بين الزوجين.

– أن نداء الفطرة يوجب عليها الانتظار لتستبرئ رحمها، حتى إذا كان حمل نسب لأبيه ولا يتنازعه الأزواج، فهن إذا انتظرن وامتنعن عن الزواج هذه المدة فكأن ذلك من أنفسهن لَا من أمر فوقهن، وكأن ذلك إلزام الفطرة قبل أن يكون إلزام الشرع.

– الإشارة إلى أن الأمر بالتربص أجيب وحصل التربص فعلا، فالتعبير بصيغة الخبر إشارة إلى الأمر والتنفيذ معا.

ثم يبين أن إيثار النظم السامي التعبير بكلمة (بِأنفُسِهِنَّ) أبلغ في الدلالة على الإلزام بالتربص؛ فإن فيها الإشارة إلى ما في معنى التربص من الصيانة لأنفسهن عن الابتذال، والاحتفاظ بكرامتهن، كما أن في تعدد الضمائر العائدة على النساء إشارةً إلى كون التربص لا يعرف إلا من جانب المرأة؛ فكان هذا التعدد بمثابة تشديد نفسي وتأثيري؛ لتتغلب المرأة على أهوائها، ولا تقول إلا حقًا [1].

(١) زهرة التفاسير (٢/٧٥٩، ٧٦٠).

- تقريب مضامين التراث:

يعتبر تقريب مضمون التراث بأسلوب مناسب للعصر أحد المعالم الرئيسة للتجديد في علم التفسير في كتاب زهرة التفاسير؛ إذ من خلاله يتأكد مفهوم التجديد المقصود واقعًا.

وقد سلك الشيخ هذا النهج في مواضع من الكتاب؛ منها بيانه للمراد بالإمداد وكيفية نزول الملائكة في تفسير قوله تعالى:﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ ﴾ (الأنفال: ٩)؛ حيث شرع في بيان ذلك من خلال تلخيص أقوال العلماء السابقين في صورة سؤال وجواب بنهج تعليمي واضح، لخص فيه أقوال العلماء في المراد بالإمداد في الآية؛ وهي:

- أن المراد به هو الإمداد الحسي الذي يرى ويسمع، ولم يرجع هذا القول لعدم شهرة الرواية الواردة فيه.

- أن المراد به هو الإمداد الروحي، ومعناه أن الله تعالى يفيض بأرواح الملائكة المطهرين، فتكون في قلوب المؤمنين تثبتهم وتقويهم، وتطهر نفوسهم، وتجعلها نحو الدين، ثم تفيض هذه الأرواح من الملائكة فتثبط المشركين وتخذلهم وتلقي الرعب في قلوبهم.

ثم رجح كون نزول الملائكة يوم بدر كان نزولًا روحيًا؛ بناءً على أن الأرواح الطاهرة المطهرة يمكن أن تحل في قلوب أهل الحق والتقوى، ويستند في ذلك إلى ما ورد في قوله تعالى:﴿بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ (آل عمران: ١٢٥)

من شروط لتحقق الإمداد بالملائكة؛ وهي: حصول الصبر والتقوى وقدوم المشركين محاربين [١].

والشيخ في مضمون ما ذكر في المسألة متابع للإمام الطبري وعدد من المفسرين في تناولهم، بيد أنه لخص أقوالهم بصورة جامعة موجزة مناسبة لزمانه وعصره [٢].

ومن أمثلة ذلك أيضًا تناوله لمسألة: هل من الجن رسل؟ أثناء تفسيره قول الله تعالى: ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ ﴾ (الأنعام: ١٣٠)؛ فقد لخص أقوال من سبق من العلماء بأسلوب واضح، وفصل حجة كل فريق، بصورة تجمع بين العناية بالتراث ومناسبة أسلوب عرضه للواقع والعصر [٣].

وليس بخاف في هذا الموضع وغيره استيعاب الشيخ لجهود من سبقه من المفسرين في المسألة بصورة تجمع بين رعاية التراث التفسيري الخالد، ومناسبة الخطاب للعصر [٤].

---

(١) زهرة التفاسير (١٣٩٨/٣).

(٢) يراجع: جامع البيان (٣٠٧/١) و(١٧٣/٧- ١٨١)؛ وتأويلات أهل السنة، أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م) (٤٧٠/٢)؛ ولطائف الإشارات، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الثالثة، د.ت) (٢٧٤/١، ٢٧٥)؛ والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥٠٢/١، ٥٠٣)؛ ومفاتيح الغيب (٣٥١/٨).

(٣) يراجع: زهرة التفاسير (٢٦٧٢/٥، ٢٦٧٣).

(٤) يراجع: جامع البيان (١٢١/١٢، ١٢٢)؛ وتأويلات أهل السنة (٢٥٩/٤، ٢٦٠)؛ والهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي ابن أبي طالب القيسي (الشارقة: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م) (٢١٨٧/٣).

ومن الأمثلة التطبيقية المميزة لتفسير الشيخ أبي زهرة في هذا المجال ما يظهر من توظيفه لتعدد القراءات في الآية الواحدة للكشف عن دورها في تكامل معنى الآية.

من أمثلة ذلك ما ذكره في تفسيره قوله تعالى: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾ (الفاتحة: ٤)؛ حيث ذكر القراءات القرآنية الواردة فيها، ثم ذكر أن هذه القراءات كلها تنتهي إلى معنى واحد، وإن اختلف أعراب كل منها، كما أن الرسم العثماني للآية يستوعبها جميعًا ويشملها، وبين ان الفرق بين القراءات الواردة فيها يعود إلى الفرق بين المِلك (بكسر الميم) والمُلك (بضم الميم)؛ فالأول: استيلاء على الأشياء بكون مردها إليه، والثاني: السلطان بنفاذ الأمر والنهي، وانفراده بهما، والأول منهما يقتضي الثاني؛ لأن من ملك شيئًا ملك السلطان فيه؛ فتكون قراءة (مَلِك يوم الدين) موضحة لما تضمنته قراءة (مَالك يوم الدين) [1].

- العناية بالتفسير السياقي القائم على رعاية المناسبات وبيانها:

يعتبر علم المناسبات من العلوم التي يفضل بها مفسر غيره من المفسرين؛ لما تتضمنه رعايته من كشف عن إحكام القرآن الكريم واتساق نظمه.

والتفسير السياقي لون من ألوان التفسير الهادفة إلى الكشف عن ارتباط السياق القرآني بين الجمل في الآية الواحدة، أو بين الآيات على مستوى السورة.

ولم يكن الشيخ $ أول من اعتنى بهذا المسلك، لكنه ممن مارسوه بطريقة فريدة، تميزت بالأسلوب الواضح المناسب للعصر؛ مما يعد تقريبًا لعلم المناسبات من جهة،

(١) يراجع: زهرة التفاسير (٦٠/١، ٦١). والأولى قراءة الأئمة: أبي جعفر، ونافع، وابن كثير، وأبي عمرو، وابن عامر، وحمزة، والثانية قراءة الأئمة: عاصم، والكسائي، ويعقوب، وخلف. يراجع: المبسوط في القراءات العشر، أبو بكر أحمد بن الحسين النيسابوريّ المعروف بابن مهران، أبو بكر (دمشق: مجمع اللغة العربية ، د.ط، ١٩٨١ م) (ص: ٨٦)؛ النشر في القراءات العشر، أبو الخير شمس الدين محمد بن محمد بن يوسف المعروف بابن الجزري (القاهرة: المطبعة التجارية الكبرى، د.ط.ت) (٢٧١/١).

وكشفًا عن دقائق القرآن الكريم من جهة أخرى، ولكون هذا العلم معتمدً على اجتهاد المفسر وفتح الله تعالى له؛ يُعتبر صورة من صور التجديد في التفسير.

ومن الأمثلة التطبيقية لهذه الصورة ما ذكره من مناسبة بين قوله تعالى: ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ﴾ الفاتحة: ١.

وخلاصته: أن (الرحمن) و(الرحيم) وصفان دالان على الرحمة التي يصلح بها الله تعالى رب العالمين الكون، ويدبر أمره بحكمته وقدرته، فهو سبحانه يرب العالمين ويصلحهم رحيمًا بهم، ويصلح الكون والوجود كله برحمته الشاملة لاسمه الأعلى الرحمن [1].

ومن الأمثلة التطبيقية لهذه الصورة أيضًا ما ذكره من مناسبة بين قوله تعالى: ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ قُلۡ هُوَ أَذٗى فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ فَأۡتُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ۝٢٢٢ ﴾ البقرة: ٢٢٢، من بيان لمناسبة الآية لما قبلها؛ رغم ملاحظة خصوص مضمون هذه الآية، وعموم مضمون الآية السابقة لها.

وملخص المناسبة بين الآية وسابقتها: أن في الآية السابقة ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ وَلَأَمَةٞ مُّؤۡمِنَةٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكَةٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤۡمِنُواْۚ وَلَعَبۡدٞ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكُمۡۗ أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ۝٢٢١ ﴾ البقرة: ٢٢١، بيانًا لبعض شؤون الأسرة؛ تبدأ من كيفية اختيار الزوج، وأن الأساس في الاختيار هو الدين والفضيلة؛ وفي الآية التالية بيان

(١) يراجع: زهرة التفاسير (٥٩/١).

للعشرة الحسنة؛ من جهة النزاهة البدنية في العلاقة الطبيعية بين الرجل والمرأة، والتي بها يعمر الكون، وتتحق خلافة الإنسان في الأرض [١].

- العناية ببيان مقاصد التشريع القرآني وحِكَمه:

يعتبر هذا المسلك في التفسير من مداخل إعجاز القرآن الكريم؛ لأنه لا يتيسر فهمه إلا للمتدبرين المتأملين في أسرار الشرائع ودقائقها [٢].

وقد تعددت الأمثلة التطبيقية لهذه الصورة في زهرة التفاسير؛ بما يدعو إلى إفرادها بدراسة مستقلة، ومن أمثلة ذلك ما ذكره الشيخ في بيان حكمة تحريم صيد البر على المحرم في تفسير قوله تعالى: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ المائدة: ٩٦ .

وخلاصته: أن البيت الحرام في واد غير ذي زرع كما أخبر الله تعالى على لسان سيدنا إبراهيم ﷺ؛ فكان على المسلمين أن يعملوا على توفير الطعام لأهله؛ حتى تتحقق إجابة دعاء سيدنا إبراهيم ﷺ، وإذا كان من مقاصد الحج التوسعة على المقيمين في هذا البيت، فلَا يصح أن يكون وجودهم سببا للتضييق عليهم؛ لذا حرم صيد البر على المحرم؛ لئلا يستنزفوا مورد أهل الحرم؛ خاصةً مع تكرر قدوم الناس لفريضة الحج كل عام [٣].

- العناية ببيان مقاصد القرآن أثناء التفسير:

---

(١) يراجع: المرجع السابق (٢/٧٢٨).

(٢) يراجع: الفوز الكبير في أصول التفسير، أحمد بن عبد الرحيم المعروف بـ «ولي الله الدهلوي» (القاهرة: دار الصحوة، الثانية، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م) (ص: ١٦٧).

(٣) يراجع: زهرة التفاسير (٥/ ٢٣٥٣).

للقرآن الكريم مقاصد رئيسة جمعها بعض العلماء في: كونه هداية للثقلين، وقيامه آيةً لتأييد النبي ﷺ، وأن يتعبد الله خلقه بتلاوته [1]، وله مقاصد فرعية متعددة، يختلف التعبير عنها بين المفسرين والكاتبين.

وقد اعتنى الشيخ في ثنايا تفسيره ببيان مقاصد القرآن الكريم فيما يتصل بذلك من آيات، ومن الأمثلة التطبيقية لذلك ما ذكره أثناء تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَـٰتٍ مُّبَيِّنَـٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ النور: ٣٤ ؛ من أن الله تعالى يذكر في هذه الآية أنه أنزل في القرآن الكريم ثلاثة أمور؛ خلاصتها:

– آيات مبينة للأحكام الشرعية في الأسرة والمجتمع الإسلامي والعلاقات الإنسانية بين المسلمين وغيرهم.

– أمثال الأمم السابقة، والمراد به قصص القرآن الحكيم ذي العبر.

– الموعظة ببيان عقاب الذين يفسدون المجتمع الإسلامي [2].

– العناية بإبراز محاسن الإسلام وكمالاته أثناء التفسير:

رغم أن الإسلام حسن كله، وتشريعاتها كلها عدل ورحمة، حتى عقوباته أقصى ما يمكن أن توصف به هو: المساواة اللازمة لتحقيق العدل، إلا أن ذلك لا يمنع أصحاب الهمم العالية من العلماء أن يكونوا حريصين على حسن التعريف بالإسلام بالصورة التي يرجون له بها وقارًا.

من هنا كان حرص الشيخ أبي زهرة على إبراز محاسن الإسلام؛ خاصة وأنه من أهل الاختصاص في الأديان المقارنة.

ويعد هذا المسلك من صور التجديد؛ بما يحمله من معاني نشر حقائق الإسلام، وحسن التعريف به.

---

(١) يراجع: مناهل العرفان في علوم القرآن (٢/ ١٢٤).

(٢) يراجع: زهرة التفاسير (١٠/ ٥١٩١، ٥١٩٢).

ومن الأمثلة التطبيقية لذلك ما ذكره الشيخ من استنباط دقيق وفريد من تذييل الآية في قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦ ﴾ البقرة: ٢١٦ .

خلاصته: أن فيه إشارة إلى أن شرع الله فيه النفع الدائم، والمصلحة الحقيقية، والنتائج المرضية؛ لأنه شرع من يعلم كل شيء ولا يجهل شيئا؛ ومن ثم ليس للناس إلا متابعته، وترك متابعة الهوى، ومخالفة من خالفه [1].

ومن الأمثلة التطبيقية لذلك أيضًا ما ذكره الشيخ في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ ﴾ المائدة: ٤٥ في شأن العفو في القصاص؛ حيث يقول: "ومذهب الإسلام في إلزامه القضاء الحكم بالقصاص وفتح باب العفو – توسط بين ما جاء في التوراة من القصاص، وما جاء في المسيحية من عفو، فكان المسلمون أمة وسطا" [2].

– العناية ببيان الوحدة الموضوعية للسورة في مطلع التفسير:

وهذا المسلك في التفسير مهم جدًا؛ خاصة في الطوال من السور؛ لما قد يُظن من بعد بين موضوعاتها.

ومن الأمثلة التطبيقية لهذه الصورة ما ذكره الشيخ في مفتتح تفسير سورة البقرة؛ حيث بين أنه بمقدار طول السورة كان فيها القدر الأكبر من الموضوعات، وأن هذا الطول يتمثل في كثرة الآيات، وليس طولًا بمعنى الإسهاب الممل الذي تمجه البلاغة، فهو كثرة موضوعات، ثم شرع في عرض موضوعاتها إجمالًا [3].

– مناقشة أقوال من سبق من العلماء وترجيح أحدها:

(١) يراجع: زهرة التفاسير (٢/ ٨٠٣).
(٢) المرجع السابق (٤/ ٢٢١٤).
(٣) يراجع: المرجع السابق (١/ ٧٦-٩٠).

تبين من خلال ما سبق إيراد الشيخ لأقوال من سبقه من العلماء أحيانًا، وترجيحه أحدها، وأحيانًا أخرى يتبنى الشيخ أحد الرأيين الواردين في التراث التفسيري دون التفات إلى الآخر أو إشارة إليه.

وفي كلا المسلكين تجديد؛ حيث اختار الشيخ ما رآه مناسبًا لواقع الناس، وحاجة زمانهم.

ومن الأمثلة التطبيقية لذلك ما ذكره أثناء تفسيه قوله تعالى: ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾[الأعراف: ١٢] من رفض لما ذكره بعض المفسرين من كون (لا) زائدة، ثم خرج الآية على كون لفظ (منعك) دالًا على معنى الحماية؛ ويكون المعنى: ما منعك حاميا لك ألا تسجد إذ أمرتك [١].

وقضية وجود زيادة في القرآن الكريم من القضايا التي تنازع فيها الناس وانقسموا بين مانع لها ومجيز. فالمجيزون يرون أن للزيادة في القرآن الكريم وجودًا لا يمكن إنكاره، ويبنون رأيهم على كون القرآن الكريم جاريًا على سنن العرب وطرائقهم في التعبير، ومن بين سننهم الزيادة في الكلام، كما يستندون في قولهم إلى واقع القرآن الكريم؛ حيث فيه آيات تشهد بوجود الزيادة من جهتي الإعراب والمعنى، أما من جهة الإعراب فقوله تعالى:﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ ﴾ فاطر: ٣ ؛ فلفظ (خالق) مبتدأ، وحق إعرابه الأصلي الرفع بالضمة، لكن زيادة (من) قبله منع ظهور الضمة، وجاء بالكسرة مكانها؛ وهكذا يكون اللفظ مجرورًا لفظًا مرفوعًا محلًا وموقعًا؛ يشهد لذلك وصفه بلفظ (غير) مرفوعًا، ولو كانت (من) أصلية لكان لفظ (خالق) ملازمًا للجر لفظًا وموقعًا، ولجاء لفظ (غير) تابعًا له في

(١) يراجع: زهرة التفاسير (٥/٢٧٩٥).

الجر، ولم يجز فيه الرفع بحال. ويرى المانعون استنكار وجود زائد في القرآن الكريم؛ ومبعث استنكارهم من ثلاث جهات؛ هي:

– العاطفة الدينية الشريفة؛ حيث يتنافى وصف بعض كلمات القرآن الكريم بالزيادة مع قداسة الكتاب العزيز وإحكام آياته.

– أن ما يتبادر إلى الذهن من مفهوم الزيادة عند إطلاقها هو كون اللفظ الموصوف بذلك لغوًا أو حشوًا في الكلام، وهذا يتنافى مع بلاغة القرآن الكريم وإعجازه.

– أن القول بوجود زيادة في القرآن الكريم قد يفتح بابًا للافتراءات الباطلة وأصحابها من أهل الأهواء.

وتوسط آخرون فرأوا الجمع بين القولين، وذلك من خلال الاتفاق على أن الزيادة تقع، وتكون لغرض التأكيد أو شبه التأكيد، وأن الزائد ليس من قبيل المهمل، أو على نية الإسقاط؛ وبهذا لا يكون وقوعها في القرآن الكريم أو في غيره من الكلام الفصيح ماسًا بقدسية الكتاب العزيز، ولا مخلاً بالفصاحة، بل تكون الزيادة لنكات بلاغية تزيد الكلام حسنًا وقوة [1].

ولعل الشيخ يقصد باختياره هذا سد الذرائع التي قد تكون سببًا لوصول بعض الافتراءات والأباطيل إلى حياض القرآن الكريم الطاهرة حال القول بوجود زائد فيه.

(١) يراجع: حروف الزيادة وجواز وقوعها في القرآن الكريم، الشيخ عبد الرحمن تاج (القاهرة: مجلة مجمع اللغة العربية، ج ٣٠، ١٩٧٢م) (ص: ٢١- ٢٤)؛ ومن وحي الزيادة في القرآن الكريم، علي النجدي ناصف (القاهرة: مجلة مجمع اللغة العربية، ج ٤٧، ١٩٨١م) (ص: ٤٤- ٤٦).

المطلب الثاني: صور من التجديد العملي:

المقصود بالتجديد العملي: ما يتعلق بدراسة المصنف لمسائل متصلة بواقع المجتمع والناس في ثنايا التفسير؛ بصورة مناسبة لمدارك العصر، تضمن بيان مراد الله تعالى من كلامه بقدر الطاقة البشرية.

ولهذا اللون من التجديد صور متعددة في زهرة التفاسير، منها:

- رفض المسارعة في تكفير المسلمين:

تعتبر قضية عدم تكفير أهل القبلة من الأصول الراسخة في الفكر الأزهري؛ حيث قررها إمام أهل السنة أبو الحسن الأشعري صراحة، وأشهد عليها؛ ترسيخًا وتعليمًا (١).

وتؤكد هذه المسألة المسلك الأزهري الخالص للشيخ أبي زهرة فكرًا وسلوكًا، كما يظهر ذلك تطبيقًا في تفسيره.

ففي تفسيره قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴾ [البقرة: ٢٠٤] يعرض ما ذهب إليه بعض الفقهاء من اعتبار من يقول كاذبًا: الله يشهد بكذا، أو يعلم بكذا مرتدًا؛ لأنه كذب على الله، أو رماه بالجهل، ثم يقرر أن ذلك لا يعد كفرًا؛ لعدم قصد قائله إلى ذلك المعنى الإلحادي، وإنما غايته أن يعتبر فعله من قبيل الاستهانة بحق الله عليه، فشأنه في ذلك شأن من حلف كاذبًا (٢).

---

(١) يراجع: سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (بيروت: مؤسسة الرسالة، الثالثة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) (٨٨/١٥).

(٢) يراجع: زهرة التفاسير (٦٣٧/٢).

ويضع الشيخ بمثل هذه المعالجة الرصينة قواعد للتعامل مع القضايا الشائكة في المجالات المختلفة، أولها التمهل في فهم المسائل والقضايا، وحسن استيعابها، وإدراك أبعادها وتعلقتها، ومن ثم الخروج بأحكام تبني ولا تهدم، تنفع ولا تضر.

– تنزيل التفسير في معالجة واقع الناس:

ويعرف هذا المسلك بالاتجاه الأدبي الاجتماعي في التفسير، وخلاصة مفهومه: عدم اقتصار التفسير على بيان معاني القرآن الكريم بصورة نمطية جافة، وإنما يكون هدفه إبراز هداية القرآن الكريم؛ من خلال إظهار مواضع الدقة في التعبير القرآني، ثم صياغة المعاني التي يهدف إليها القرآن الكريم في أسلوب شَيِّق أخَّاذ، ثم يطبق النص القرآنى على ما فى الكون من سنن الاجتماع، ونُظُم العمران [1].

ويعتبر هذا المسلك من مسالك التجديد في علم التفسير؛ باعتبار نشأته حديثًا من جهة، وباعتبار مضمونه ومقصده من جهة أخرى.

وقد حفل كتاب زهرة التفاسير بهذا اللون في مواضع متعددة؛ حتى يمكن اعتباره واحدًا من أهم الكتب في هذا اللون؛ بصورة فائقة؛ نظرًا لما يتمتع به مصنفه من ثروة علمية تتصل بأحوال المجتمع ونظمه.

ومن الأمثلة التطبيقية لهذه الصورة ما ذكره في تفسير قوله تعالى:﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ ﴾ البقرة: ٢١٩ ؛ حيث شرع عقب بيان معاني المفردات في بيان أوجه الضرر الاجتماعي لشرب الخمر، وهما:

– إضعاف صوت الضمير، وهذا من شأنه إلحاق الضرر بالاجتماع الإنساني؛ لأن شرب الخمر يذهب بخلق الحياء؛ وهو أساس الخلق الاجتماعي الذي يترتب عليه

(١) يراجع: التفسير والمفسرون (٢/ ٤٠١).

الإلف والائتلاف بين الناس، والإحساس بسلطان الجماعة على الفرد باللوم والتهذيب؛ ومن ثم تحصيل النفس اللوامة.

– ذهاب الرشد، أو إضعاف الإدراك ووزن الأمور وزنا صحيا [1].

ومن الأمثلة التطبيقية البديعة أيضًا ما ذكره من مناسبة توسط آيات الصلاة: ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ٢٣٨ ﴾ البقرة: ٢٣٨ بين آيات الأحكام الأسرة في سورة البقرة؛ وهو أن يتوسط التهذيب النفسي التعامل الاجتماعي، وليستبين المؤمن أن التقوى أساس الصلات التي تربط آحاد الأسرة، وأن التقوى لازمة لتكون روح الاتصال، وميزان الاعتدال عند قيام الحياة الزوجية وعند انقطاعها [2].

– تأصيل هداية القرآن الكريم من خلال العلوم الحديثة:

ذكر الشيخ في مطلع تفسيره ضمن منهجه أنه لن يخضع القرآن لعلم من العلوم كائنًا ما كان، وقد وفى بذلك؛ بل إنه أخضع تلك العلوم لحقائق القرآن؛ خادمة لها وموضحة، وهذا مسلك تجديدي بلا شك.

ومن الأمثلة التطبيقية لهذه الصورة ما ذكره أثناء تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡۚ ﴾ البقرة: ٢٢٠ في شأن رعاية مال اليتيم وحفظه، وتجنب الاعتداء عليه: ما أثبته علم النفس الجنائي من أن روح الإجرام تنبعث عند النشأة الأولى في الغلمان الذين يحسون بأن المجتمع يجفوهم، ويغلظ عليهم فيخافونه ويبغضونه، ويترقبون الفرصة السانحة ليستلبوا المال أو الأرواح، أو ما يمكنهم أن يصلوا إليه، ولا سبيل للحد

(١) يراجع: زهرة التفاسير (٢/ ٧٠٣، ٧٠٤).
(٢) يراجع: زهرة التفاسير (٢/ ٨٤٦).

من تلك الظاهرة إلا تربية اليتيم بالإصلاح والتهذيب، وألا تُقهر نفسه حتى لَا يجفو؛ فيكون من وراء ذلك الشر المستطير والخطر الكبير [1].

- بيان الدلالة النفسية والتأثيرية للنظم القرآني:

يقصد بالدلالة النفسية والتأثيرية للنظم: ما يحمله النظم القرآني من جوانب تخاطب النفس، وتؤثر فيها إيجابًا.

وهذا لون من ألوان التجديد في الدرس التفسيري؛ لما يشتمل عليه من إيصال الهداية القرآنية بصورة غير نمطية.

ومن الأمثلة التطبيقية لهذه الصورة ما ذكره الشيخ في تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ ﴾ البقرة: ٣ ، أن للصفتين المذكورتين في الآية (إقامة الصلاة والإنفاق) مظهرًا عمليًا، ومظهرًا نفسيًا إيجابيًا؛ فأولاهما (إقامة الصلاة) تعني الإتيان بها مقومة على وجهها من أداء الأركان الحسية مستوفاة، وأن تكون مصورة للمعاني الروحية من خضوع وخشوع، واستحضار لصفات الربوبية بأن يكون قائمًا بحق الله فيها كأنه يراه، مستشعرا الإحساس بأنه في حضرة الله تعالى جل جلاله، وبذلك تتحقق للصلاة خاصيتها، وهي أنها تجانب المرء من فعل السوء، كما قال تعالى: ﴿ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ٤٥ ﴾ العنكبوت: ٤٥، فليست الصلاة نقر كنقر الديكة، ولكنها تجرد لله تعالى، وانصراف، وقضاء وقت في حضرته.

وفي إيثار صيغة المضارع في (يقيمون) إفادة المداومة عليها في أوقاتها من غير تخلف، والمحافظة عليها من غير انقطاع.

(١) يراجع: المرجع السابق (٢/ ٧١١).

يضاف إلى ما سبق أن الصلاة فريضة اجتماعية؛ تهدف لتأليف مجتمع متحاب متواد مترابط بصلات من الرحمة والتعاون، يجمعه الإلف الروحي والطهر والإخلاص والالتقاء عند الله تعالى في كل يوم خمس مرات.

وأما الزكاة فهي تعاون اجتماعي، وقد ذكر النبي ﷺ أنها مغنم لَا مغرم [(١)]؛ لأنها تغني الفقراء، وتدفع الآفات الاجتماعية الناجمة عن الفقر، ويفيد تقديم الجار والمجرور (مما رزقناهم)، بيان الاختصاص أو القصر، أي أنهم ينفقون مما أعطاهم الله، وفيه من الاهتمام بأنه من رزق الله الذي رزقه للأغنياء ليعطوا منه للفقراء، فالمال مال الله، والجميع عباد الله، فهو يأخذ من مال الله ويعطي عباد الله.

والواقع أن هذه الانعكاسات النفسية للنظم القرآني تؤثر إيجابيًا في سلوك المكلفين، وتحقق الامتثال الفوري لأمر الله تعالى [(٢)].

- استنباط أحكام النوازل الفقهية من التفسير:

يعد التعرض لمناقشة الأحكام الفقهية المعاصرة في ثنايا التفسير في حد ذاته صورةً من صور التجديد في علم التفسير، ويظهر أثره في ملامح التجديد المعاصر حين يعالج مسائل واقعية ونوازل عصرية.

وقد سلك الشيخ النهجين معًا؛ معتمدًا في ذلك على ملكته الفقهية الراسخة، وحصيلته المعرفية الثرية، ولهذا أمثلة متنوعة في الكتاب.

---

(١) يشير إلى قوله ﷺ: " إذا أعطيتم الزكاة فلا تنسوا ثوابها أن تقولوا: اللهم اجعلها مغنما ولا تجعلها مغرما" . أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب: الزكاة، باب: ما يقال عند إخراج الزكاة (ح: ١٧٩٧)، وقال الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي: في الزوائد في إسناده الوليد بن مسلم الدمشقي وكان مدلسا. والبختري متفق على ضعفه. وقال فيه له شاهد من حديث إذا أتاه الرجل بصدقة ماله صلى عليه.

(٢) يراجع: زهرة التفاسير (٦/ ٣٠٦٥).

من ذلك ما ذكره أثناء تفسيره قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ [الأنعام: ١٥١] ؛ حيث بين فهم بعض العلماء من الآية عدم جواز منع النسل بعزل أو نحوه، وذكر معنى العزل؛ وهو: إلقاء النطفة خارج الرحم، ثم أشار إلى ما روي عن النبي ﷺ من آثار تفيد أنه ﷺ رأى العزل ولم يأمر به ولم ينه عنه؛ منها ما روي عن سيدنا أبي سعيد الخدري ﷺ، أنه قال: أصبنا سبيا، فكنا نعزل، فسألنا رسول الله ﷺ، فقال: «أوإنكم لتفعلون – قالها ثلاثا – ما من نسمة كائنة إلى يوم القيامة إلا هي كائنة» (١)، ثم بين ورود حديث آخر في الباب يفهم منه منع العزل؛ وهو قوله ﷺ: " العزل هو الوأد الخفي" (٢)، ثم بين ورود قولين فيه عن الصحابة؛ الأول: أن العزل ليس به من بأس، ولكنه خلاف الأولى، والثاني: المنع، ثم استعرض أقوال الفقهاء في المسألة بناءً على ما سبق؛ وهي:

- أن العزل مكروه.
- أن العزل حرام.
- أنه لا يجوز إلا إذا كان ثمة عذر إليه.

ويظهر أن الشيخ قد رجح رأي جمهور الفقهاء بعدم جواز العزل بقصد الحد من النسل (٣).

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب: النكاح، باب: العزل (ح: ٥٢١٠).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب: النكاح، باب: باب جواز الغيلة؛ وهي وطء المرضع، وكراهة العزل (ح: ١٤٤٢).

(٣) يراجع: زهرة التفاسير (٢٧٣١/٥)، ويراجع في آراء الفقهاء: الحاوي الكبير، أبو الحسن علي بن محمد الماوردي (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٩م) (٣٢٠/٩)؛ والمغني عن حمل الأسفار، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد المعروف بابن قدامة المقدسي (القاهرة: مكتبة القاهرة، د.ط، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م) (٢٩٨/٧).

- العناية ببيان المفاهيم القرآنية بصورة كلية:

وتعتبر هذه الصورة من أهم صور التجديد، وهي أن يبين المفسر للناس المفاهيم التي بينها القرآن الكريم؛ بصورة كلية تحيط بجميع الدلالات وتشمل كافة المواضع والسياقات، دون اقتصار على معنى جزئي، وقد كان الشيخ حريصًا على هذا المنهج؛ تحقيقًا لكمال الاهتداء بالقرآن، وإسهامًا في أداء أمانة البيان.

وتظهر أهمية هذا المسلك من وجوه؛ أهمها:

- دوره البارز في الجانب الشرعي والديني، خاصة إذا كان المفهوم متعلقاً بصياغة قضايا تتصل بسلوك الأفراد والشعوب، كالتغيير ونحوه.

- تعتبر داعماً قوياً للدراسة التفسيرية بوجه عام، فالدراسة المفهومية تهتم بكافة الروابط والعلائق بين دلالات المصطلح؛ وصولاً إلى المفهوم الشامل، وهذا لا شك هام للمفسر وغيره.

- يعين على حمل معاني كلام الله تعالى على الغالب من أسلوب القرآن الكريم ومعهود استعماله، وهو أولى من الخروج به عن ذلك، كما تقرر في قواعد التفسير.(١)

- رابعاً: دورها الهام في تحديد المفاهيم العامة لحياة الناس، حيث إن تحديد المفاهيم ضرورة معرفية وثقافية واجتماعية، وإذا لم تدرس المفاهيم في ضوء القرآن الكريم، فسيكون البديل في المصطلح الوافد.

- خامساً: تعتبر دراسة المفهوم القرآني تطبيقاً وشاهداً واقعياً لشمولية المعرفة القرآنية؛ ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

(١) يراجع: قواعد الترجيح عند المفسرين: دراسة نظرية تطبيقية، د. حسين بن علي الحربي (الرياض: دار القاسم، الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م) (١٧٢/١ وما بعدها).

وقد أشار الشيخ إلى ما يمكن اعتباره أصلًا لهذه الصورة؛ حيث اعتبر المسارعة إلى تفسير القرآن الكريم بظواهر الألفاظ؛ دون معرفة المنقول في موضوعها، ومن غير مقابلة الآيات بعضها ببعض، ومن غير إدراك العرف الإسلامي لتلك الألفاظ، ومن غير دراية بأساليب الاستنباط ضربًا من التفسير بالرأي المذموم [1].

ومن الأمثلة التطبيقية لذلك ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [المائدة: ٣٥]؛ حيث بين المفهوم الشامل للجهاد في سبيل الله عقب بيانه لمفهوم سبيل الله (وهو الطريق المستقيم الذي ينتهي إلى الغاية العليا من شرائع النبوة، وهو السبيل الذي يكون فيه صلاح الإنسان، ودفع الفساد في هذه الأرض، وإقامة مجتمع فاضل بين العالمين، يسعى في ظله التقي البر، ويستمتع فيه الفاجر من غير عدوان ولا فساد)؛ وخلاصة ما ذكره: أن الجهاد يعني بذل أقصى الجهد في تحقيق الإصلاح في الأرض، ودفع الفساد عنها، وإقامة الحق، وخفض الباطل، وسيادة الفضيلة ودفع الرذيلة.

ثم بين أن الجهاد ذو شعب:

– أولاها: جهاد النفس، ومغالبة الأهواء والشهوات، ومقاومة نزعات الشيطان، ومراقبة النفس، وسماها النبي ﷺ الجهاد الأكبر.

– الثانية: العمل على تكوين رأي عام فاضل يحث على الخير، ويقاوم الشر، ويمنع الظلم، ويقيم العدل ويحمل الظالمين على الجادة المستقيمة، ويصح أن يسمى ذلك جهادا داخليا؛ لأنه حماية للأمة من الآفات الاجتماعية، ووقاية لها من الشر الذي

(١) يراجع: زهرة التفاسير (٣٥/١).

يقع فيها، فهو جهاد لحماية المجتمع من آحاده كما أن الشعبة الأولى حماية للفرد من آفات نفسه.

– الثالثة: العمل على حماية المجتمع من الظلم الخارجي، ونشر لواء المحبة والمودة بين الشعوب، وجعل العدل يسود العلاقات الدولية، ومدافعة الظالمين، وهذا النوع من الجهاد ذو ثلاث شعب: أولاها: نصر الحق بين العالم بالدعوة إليه باللسان والقلم، ومقاومة الشر من أن يستشري بالدعاية للحق والعدل ودفع الظلم، والثانية: مد الضعفاء بأسباب الحياة ومعاونتهم، والثالثة: مقاومة الظلم بالحرب العادلة دفعا للظالمين" (١).

ولا شك أن هذا البيان لمفهوم الجهاد يسهم في حماية العقل الإسلامي من الأفكار المنحرفة التي تجتزئ المفهوم، وتصدر أحد أفراده على أنه جنس فيه وأصل.

وهو في الواقت ذاته بيان أمين بجمعه شتات المفهوم كما ورد في النص الشرعي الشريف وأقوال السلف بصورة مناسبة للواقع.

فالمتأمل تراث المفسرين في تأويل قوله تعالى: ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ۝٥٢ ﴾ الفرقان: ٥٢ يتأكد لديه ضرورة بيان هذا المفهوم الشامل الكلي للجهاد؛ حيث جاء الأمر بالمجاهدة متعلقًا بالقرآن أو الإسلام – حسب الأقوال الواردة في مرجع الضمير في (به)–؛ فهو قيام بحق الله تعالى أولًا، وجهاد بالحجج والآيات، والبيان والتبليغ؛ بغية حصول الإقرار بدين الله وفرائض الله والإذعان لها (٢).

(١) يراجع: زهرة التفاسير (٢١٦٣/٤).

(٢) يراجع: جامع البيان (٢٨١/١٩)؛ وتأويلات أهل السنة (٣٣/٨)؛ و الهداية الى بلوغ النهاية (٨/ ٥٢٣٧)؛ ولطائف الإشارات (٢/ ٦٤١).

وهذا أيضًا مفهوم ما روي عن السلف؛ فقد ورد عن سيدنا عبد الله عباس في حده أنه: " استفراغ الطاقة فيه، وألا يخاف في الله لومة لائم "، كما روي عن سيدنا عبد الله بن المبارك ڤ أنه: " مجاهدة النفس والهوى" (١).

والخلاصة أن الواجب على من يعرض للحديث عن مفهوم الجهاد أن يبين بدايته من: استفراغ الطاقة، وعدم الخوف في الله لومة لائم، والعمل لله تعالى حق العمل، وعبادته حق العبادة، ومجاهدة النفس والهوى.

كما عليه بيان أن الجهاد حالة نفسية وعقلية، يجب على كل مكلف أن يكون مدركًا لها، ومستدمجًا لها بين جنبيه؛ وأنه حالة مصاحبة للإنسان في كل أحواله، ملازمة للقلب والجنان واللسان والبيان، وبالتالي عدم قصر المفهوم على نمط من أنماطه أو لون من ألوانه (٢).

وفي ختام هذا المبحث أقول: كانت تلك الأمثلة والنماذج التي ذكرتها غيضًا من فيض، وقطرات من بحر زخار بلآلئ ودرر لا ينتهي حسنها، حتى إن كل واحدة منها تستأهل دراسة مستقلة – دون مبالغة–، وعذري هو ضيق المقام، وحسبي أنني طرقت باب تراث خالد لواحد من علماء الأزهر النجباء؛ فالله تعالى أسأل أن يتقبل صالح عملي بقبول حسن، وأن يكتبه في موازين حسنات صاحب الكتاب ، وصلى الله تعالى وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) يراجع: زاد المعاد في هدي خير العباد، شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية (بيروت- الكويت: مؤسسة الرسالة - مكتبة المنار الإسلامية، السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م) (٨/٣).

(٢) يراجع: في تفكيك مفهوم الجهاد، أ.د أحمد عبادي (الرباط: مطبعة المعارف الجديدة – الرابطة المحمدية للعلماء، الأولى، ١٤٣٩هـ-٢٠١٨م) (ص: ٩) وما بعدها.

الخاتمة

- أولا : نتائج البحث:

أسفرت هذه الدراسة المتواضعة عن عدد من النتائج، أهمها:

١- أن المقصود بالتجديد في علم التفسير هو: تجديد فهم الناس لكتاب الله، وتقريبهم من معانيه وهداياته؛ وفق قواعد التفسير وضوابطه.

٢- لتجديد علم التفسير دواع وبواعث ومقاصد ضرورية؛ تقتضي وجوده والسعي في العناية به.

٣- من الضروري للمجدد مراعاة ضوابطه؛ وصولًا إلى تجديد أصيل ومثمر.

٤- يعتبر منهج الشيخ أبي زهرة $ في تفسيره أحد صور التجديد في علم التفسير؛ وفق الرؤية الأزهرية الرصينة.

٥- لم يخرج الشيخ أبو زهرة عن حدود الرؤية الأزهرية للتجديد في علم التفسير إلا في نفيه عقوبة الرجم، لكنه طريقة الاجتهاد وأدواته لم تخرج عن حدود المنهج الأزهري.

٦- تمثل الرؤية الأزهرية في تجديد علم التفسير روح المنهج الإسلامي السديد؛ من خلال جمعها بين حفظ التراث ومواكبة مستجدات العصر ومتطلباته.

- ثانيا : التوصيات:

يطيب لي في خاتمة هذه الدراسة المتواضعة أن أقدم عدداً من التوصيات، وهي:

١- استحداث مقررين جامعيين ؛ باسم: معالم التجديد ومناهجه؛ ومفاهيم قرآنية ونبوية.

٢- تخصيص باب في مجلة الأزهر وجريدته لنشر ما يتعلق بفقه التجديد الأزهري، وتراث أعلامه.

٣- إنشاء مرصد أزهري عالمي لفقه التجديد ودراساته.

ثبت بالمصادر والمراجع

- أبو زهرة عالمًا إسلاميا: حياته ومنهجه في بحوثه وكتبه، ناصر محمود وهدان (القاهرة: شركة ناس للطباعة، ١٩٩٦م).
- الإتقان في علوم القرآن، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م).
- الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، أ.د محمد محمد أبو شهبة (القاهرة: مكتبة السنة، الرابعة، ١٤٠٨هـ).
- الأعلام، خير الدين الزركلي الدمشقي (بيروت: دار العلم للملايين، الخامسة عشر ، ٢٠٠٢ م).
- الإيضاح في علوم البلاغة، أبو المعالي جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر القزويني الشافعي (بيروت: دار الجيل، الثالثة، د.ت).
- بحث: " التجديد في التفسير"، يحيى شطناوي، مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث، ج(٦) عدد (٢٣)، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.
- بحث: " التجديد في تفسير القرآن فريضة شرعية وضرورة حضارية، أ. د/ أحمد محمد الشرقاوي، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مج (١٢)، ع (٣)، ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م.
- بحث: " ضوابط التجديد في التفسير المعاصر: دراسة موضوعية"، د. احتراس شاكر فندي، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية، مج (٩)، ع (٣٤)، ٢٠١٨م.
- بحث: " ضوابط التجديد في تفسير القرآن الكريم"، د. محمد بن أحمد الحواش، مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ع (٧٥)، ٢٠١٤م.

- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي (بيروت: دار الفكر، د.ط، ١٤٢٠هـ).
- تأويلات أهل السنة، أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م).
- تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (بيروت: دار الكتاب العربي، الثالثة، ١٤٠٤هـ).
- التراث والتجديد، أ.د أحمد محمد الطيب (القاهرة: هدية مجلة الأزهر، شعبان، ١٤٣٥هـ).
- تفسير التحرير والتنوير، الشيخ محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر المعروف بابن عاشور، (تونس: الدار التونسية للنشر، د.ط، ١٩٨٤م).
- التفسير والمفسرون، أ.د/ محمد حسين الذهبي (القاهرة: مكتبة وهبة، الرابعة، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م).
- جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (بيروت: مؤسسة الرسالة، الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م).
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري (بيروت: دار طوق النجاة، الأولى، ١٤٢٢هـ).
- حاشية الشيخ البيجوري على جوهرة التوحيد، برهان الدين إبراهيم بن محمد الباجوري (القاهرة: دار السلام، الرابعة، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م).
- الحاوي الكبير، أبو الحسن علي بن محمد الماوردي (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٩م).

- حروف الزيادة وجواز وقوعها في القرآن الكريم، الشيخ عبد الرحمن تاج (القاهرة: مجلة مجمع اللغة العربية، ج ٣٠، ١٩٧٢م).
- حرية الفكر في الإسلام، عبد المتعال الصعيدي (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٩م).
- رؤية إسلامية في قضايا العصر، أ.د محمد عبد الفضيل القوصي (القاهرة: هيئة كبار العلماء، الأولى، ١٤٤٢هـ-٢٠٢١م).
- زاد المعاد في هدي خير العباد، شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية (بيروت- الكويت: مؤسسة الرسالة - مكتبة المنار الإسلامية، السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ -١٩٩٤م).
- زهرة التفاسير، الشيخ محمد أبو زهرة (القاهرة: دار الفكر العربي، د.ط.ت).
- سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (بيروت: مؤسسة الرسالة، الثالثة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م).
- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى ابن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ (بيروت: المكتبة العصرية، الأولى، ١٤٢٣ هـ).
- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، أبو حامد بهاء الدين أحمد بن علي بن عبد الكافي السبكي (بيروت: المكتبة العصرية، الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م).
- العقيدة وعلم الكلام من أعمال الشيخ محمد زاهد الكوثري (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م).
- عون المعبود شرح سنن أبي داود، أبو عبد الرحمن محمد أشرف الصديقي العظيم آبادي (بيروت: دار الكتب العلمية، الثانية، ١٤١٥ هـ).

- فتح الباري شرح صحيح البخاري، الحافظ أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي (بيروت: دار المعرفة، د.ط، ١٣٧٩هـ).
- الفوز الكبير في أصول التفسير، أحمد بن عبد الرحيم المعروف بـ «ولي الله الدهلوي» (القاهرة: دار الصحوة، الثانية، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م).
- في تفكيك مفهوم الجهاد، أ.د أحمد عبادي (الرباط: مطبعة المعارف الجديدة – الرابطة المحمدية للعلماء، الأولى، ١٤٣٩هـ-٢٠١٨م).
- في فكرنا الحديث والمعاصر، أ.د حسن الشافعي (القاهرة: ١٩٩٤م).
- قواعد الترجيح عند المفسرين: دراسة نظرية تطبيقية، د. حسين بن علي الحربي (الرياض: دار القاسم، الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م).
- القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة، أ.د/ محمد مصطفى الزحيلي (دمشق: دار الفكر، الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م).
- قول في التجديد، أ.د حسن الشافعي (القاهرة: الحكماء للنشر، الرابعة، ١٤٤٠هـ-٢٠١٩م).
- الكشاف عن حقائق التنزيل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (بيروت: دار الكتاب العربي، الثالثة - ١٤٠٧هـ.
- لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن على الأنصاري الرويفعى الإفريقى، المعروف بابن منظور الأنصاري (بيروت: دار صادر، الثالثة - ١٤١٤ هـ).
- لطائف الإشارات، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الثالثة، د.ت).
- لطائف الإشارات، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الثالثة، د.ت).

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي (بيروت: دار الكتب العلمية، الأولى - ١٤٢٢ هـ).
- محمد أبو زهرة، د. محمد عثمان شبير (دمشق: دار القلم، الأولى، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م).
- المدخل لدراسة القرآن الكريم، أ.د محمد محمد أبو شهبة (القاهرة: مكتبه السنة، الثانية، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣م).
- مسند ابن أبي شيبة، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم العبسي (الرياض: دار الوطن، الأولى، ١٩٩٧م).
- مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، الأولى، ١٩٨٨م - ٢٠٠٩م).
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، أبو الحسن مسلم ابن الحجاج القشيري النيسابوري (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط.ت).
- المعجزة الكبرى القرآن، الشيخ محمد أبو زهرة (القاهرة: دار الفكر العربي، د.ط.١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م).
- المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، أ.د/ محمد حسن جبل (القاهرة: مكتبة الآداب، الأولى، ٢٠١٠م).
- معجم اللغة العربية المعاصرة، أ.د/ أحمد مختار عمر وآخرون (بيروت: دار عالم الكتب، الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م).
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء (بيروت: دار الفكر، د.ط، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).

- المغني عن حمل الأسفار، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد المعروف بابن قدامة المقدسي (القاهرة: مكتبة القاهرة، د.ط، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م).
- المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، الحافظ أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي (بيروت: دار ابن حزم، الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م).
- مفاتيح الغيب، أبو عبد الله فخر الدين محمد ابن عمر الرازي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، الثالثة، ١٤٢٠ هـ).
- مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (بيروت: دار الكتب العلمية، الثانية، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م).
- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (بيروت- دمشق: دار القلم- الدار الشامية، الأولى، ١٤١٢هـ).
- من مداخل التجديد، أ.د محمد محمد أبو موسى (القاهرة: الحكماء للنشر، الثالثة، ١٤٤٠-٢٠١٩م).
- من وحي الزيادة في القرآن الكريم، علي النجدي ناصف (القاهرة: مجلة مجمع اللغة العربية، ج ٤٧، ١٩٨١م).
- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الثالثة، د.ت).
- الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، أبو بكر بن العربي المعافري (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م).

- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي ابن أبي طالب القيسي (الشارقة: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م).
- الوجيز في أصول الفقه الإسلامي، أ.د/ محمد مصطفى الزحيلي (دمشق: دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، الثانية، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م).